الصيام

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار الكلمة للنشر والتوزيع - مصر المنصورة

٣٨ ش الثورة (السكة الجديدة) ت ، ف: ٣٤٣١١٥ ص. ب:١٦٧

www.abulhasanalinadwi.org

الأركان الأربعة
في ضوء الكتاب والسنة
مقارنة بالأديان الأخرى
(٣)

الصيام

أبو الحسن علي الحسني الندوي

دار الكلمة للنشر والتوزيع - مصر - المنصورة

www.abulhasanalinadwi.org

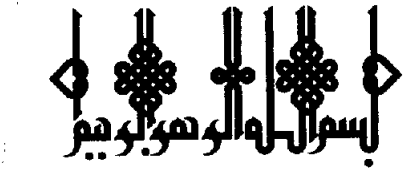

www.abulhasanalinadwi.org

الصيـــــام

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

مخلوق وسط بين الملائكة والحيوانات :

خُلق الإنسان وسطًا بين الملائكة والحيوانات ، ورُكِّبت فيه طبائع هذين الجنسين المتناقضين تركيبًا لطيفًا ، حكيمًا بديعًا ، فهو مزيج غريب من الخواص الملكية والخواص الحيوانية ، ومن الأخلاق الإلهية ، والعادات الحيوانية ، ذلك ، لأن منصبه الذى رُشِّح له ، وغايته التى طُلب منه أن يبلغها ويحققها، ووُضع فيه استعدادها وحبها ، لم يرشحّ له الملائكة ، ولم يُخلق له الحيوانات ، وذلك منصب الخلافة ، ومركز الأمانة ،وغاية العبادة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ، ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا

www.abulhasanalinadwi.org

الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ، **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾** [الذاريات : ٥٦، ٥٧] .

مقتضى « الخلافة » ولوازمها :

وكان منصب الخلافة يقتضى المناسبة القوية ، بالمستخلف المنيب ، والمناسبة القوية بالمكان الذى يتولى الخلافة فيه ، والمخلوق الذى يتولى السيادة عليه ، والحكم فيه ،فأخذ من الأول أشباح أخلاقه ، وظلال صفاته كسمو ونزاهة ، وصمدية وغنى ، ورحمة وكرم ، ورأفة وبر ، وصبر وحلم ، وقوة وقهر ، وصفاء وتجرد ، وأمن وسلام. وقد ظل فى جميع أطواره البشرية ، وأدواره التاريخية يجد اللذة ويعتقد العزة فى هذه الأخلاق ومظاهرها ، ويخضع لحملتها وأصحابها ، ويدين لهم بالحبّ والإجلال ، إذا تجرد عنها وعجز عن التحلى بها ، أو تقاصرت عنها همته ، وضعفت إرادته .

www.abulhasanalinadwi.org

وأخذ من الثانى خواصّه وطبائعه ، وشاركه فى مواضع ضعفه ، ليشاركه فى آلامه وآماله ، ويُحسن سياسته ، وينتفع بكنوز الأرض وخيراتها ، ويتمتَّع بنعمها وطيباتها ، ويضع ما خُلق فيه مواضعه ، فوُضعت فيه شهوة الطعام والشراب ، ورُكِّبت فيه الغريزة الجنسية وخُلق فيه الجوع والعطش ، وعُجنت طينته مع اللذة وحبها وطلب المزيد الجديد ، وأُلهم الصناعة والمدنية ، والتأنُّق فى الطعام والشرب .

تجاذب الروح والجسد إلى مركزهما وخصائصهما :

ولذلك كان مجموعًا من روح وجسد ، فالروح هى التى تجذبه إلى أصلها ومنبعها ، وتذكِّره بمنصبه ومركزه ، وغايته ومهمته ، وتفتح فيه الكوَّة إلى العالم الذى انتقل منه ، وإلى سعته وجماله ، ولطافته وصفائه ، وتُثير فيه الأشواق والطموح ، وتبعث فيه الثورة على المادة الكثيفة الثقيلة ، وتُزين له الانطلاق من القفص الضيق الخانق ، وإن كان من ذهب ، والتحليق فى الأجواء الفسيحة التى لا نهاية لها، وفك السلاسل والأغلال من عادات ومألوفات،

www.abulhasanalinadwi.org

ولذَّات وحاجات ، ولو حينًا بعد حين ، وفى شهور وسنين، وتحبِّب إليه الجوع والعطش مع وفرة الطعام وكثرة الشراب فيشعر فيهما بلذة ، لا يشعر بها فى أطايب الطعام والشراب ، ويعدُّ ذلك الوقت القصير الذى يمضى فى فراغ الخاطر وصفاء النفس ، وخفَّة المعدة ، وإشراق الروح ، والتجرد من الشهوات ، والتحرر من النظام الرتيب الخشيب ، قيمة الحياة ولذَّتها ، وسرور النفس وبهجتها ، فلا يزال يحن إليه حنين الطائر إلى الوكر ، وحنين السمك إلى الماء ، وذلك كله صنع الروح التى أُودعت فيه، وانتقلت إليه من عالم الغيب : ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾ [الإسراء : ٨٥] ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾ [ص : ٧٢] .

والجسد هو الذى يجذبه إلى أَصله ومركزه ، وهى الأرض ــ بكثافتها وتبلدها ، وثقلها وسفالتها ــ ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْنُونٍ** ﴾ [الحجر : ٢٦] ﴿ **فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ** ﴾ [الصافات : ١١] ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ**

www.abulhasanalinadwi.org

﴿كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن : ١٤]. فإذا ضعف سلطان الروح ، أو زال حكمها ، وتقلَّص ظلها ، وملك الجسد زمام الحكم، استرسل الإنسان فى لذاته وشهواته، ورتع فيها رتع البهائم السائمة ، وجُنَّ بها جنونًا ، وأبدع فيها ألوانًا وفنونًا، وتخطَّى حدود العقل والعرف ، والصحة والطب، والعدل والشرع ، وانصرفت همته وذكاؤه ، وإبداعه وعبقريته إلى التفنن والتدقيق ، والإسراف والإكثار من أنواع الطعام والشراب ، والتهامها ثم انهضامها ، وما يبعث فيه الشهية ، ويُوقظ فيه الجوع ، ثم يعينه على الهضم ، ويعدّه للوجبة الثانية ، « فيصبح وهو فى أوج مدنيته وحضارته ، وقمة علمه وثقافته ، كحمار الطاحون أو كثور الحرث ، يدور بين المطعم والمرحاض ، ومائدة الطعام والبالوعة » (١) لا يعرف سوى ذلك مبدءًا ومعادًا ، ولا يعرف غير الطواف بينهما شغلاً وجهادًا فتموت فيه كل رغبة إلا رغبة الطعام والشراب ، ويُتبلَّد فيه كل حس إلا حس

(١) الفكرة مقتبسة من مقال للأستاذ عبد البارى الندوى فى مجلة « البعث الإسلامى » .

www.abulhasanalinadwi.org

اللذة والمتعة ، ويزول عنه كل همّ ، إلاَّ هم الكسب ليأكل، والأكل ليكسب . ولا تصوير أدقُّ وأصدق من تصوير القرآن المُعجز ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد : ١٢] وما ذاك إلاَّ طبيعة الجسد الذى تحرر من سلطان الروح ، وحُرم توجيه النبوة وإرشادها ، وانقاد للنفس والهوى ، ونتيجة انجذابه إلى أصله ومصدره : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٥، ١٧٦] .

أثر انتصار كل من الروح والجسد فى حياة الإنسان وفى تاريخ الأديان والأخلاق :

وما تاريخ الإنسان الدينى والخلقى ، إلا قصة صراع بين الطبيعتين ، وتأرجح بين نهايتين ، فأحيانًا تغلبت الطبيعة الأولى ، وتطرفت ، فابتدعت الرهبانية ، وغلت

www.abulhasanalinadwi.org

فى التقشف فى الحياة ، ورفض الطيبات والمباحات وإرهاق الطبيعة وإجهاد النفس ، فأطال الإنسان الجوع وأدام السهر، والتجأ إلى الغابات والمغارات ، ورأى السعادة والسمو الروحانى ، فى تعذيب النفس وإيلام الجسم . وما قصة غُلاة القرون الوسطى فى أوروبا بخبر مجهول [١] :

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد : ٢٧] فلم تكن نتيجة ذلك إلا أن ضعفت الأجسام والعقول ، وانحلت الروابط ، وتعرض المجتمع الإنسانى لخطر محدق ، وتخلى الإنسان عن منصب الخلافة الذى أكرمه الله به . وانسحب من ميدان الكفاح والمسؤولية ، واتخذ « الملك » له المثل الأعلى وصار يحسده ، ويطمح إليه بعدما كان محسوداً للملائكة ومسجوداً لهم .

وتغلَّبت الطبيعة الثانية ، الطبيعة الجسديّة الأرضية ،

---

(١) اقرأ كتاب « تاريخ الأخلاق فى أوروبا » - (History of European Morals) (للأستاذ « لبكى ») أو راجع كتابنا : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ، الفصل الأول من الباب الرابع .

www.abulhasanalinadwi.org

أحيانًا كثيرةً ، فانفلت الإنسان من كل قيد من قيود العقل والشرع ، ومن كل سلطة من سلطات الروح والأخلاق ، وانساق لدواعى المادّة والمعدة ، وانجرف معها انجرافًا ، فأمعن فى إرضاء شهواته البَدنيّة ، وتحقيق رغباته المادّيَّة ، لا يعرف لذلك حدًا ولا نصابًا ، فانطفأت شعلة الروح والقلب ، وتضخّمت المَعدة على حساب العقل والضمير وتوسّعت ، فصار لا يكفيه قوت أسرة أو قبيلة ، ونشأت فى جسمه معدة صناعية خيالية ، وفى حياته جوعة وهمية أسطوريّة ، لَا يُشبعها أعظم مقدار من الطعام والشراب ، ومن الذخائر والمستودعات ، ومن الإيراد والغلاّت . فنشأت مظالم وجرائم ، وأصبح الإنسان حيوانًا مفترسًا ضاريًا ، يفترس بنى نوعه ، ويزدرد أفراد أسرته ،وما قصة الحروب والغارات ، والفتوح والانتصارات ــ حاشا الجهاد الدينى المقدّس ــ إلاّ قصة الجشع الفردى ، أو الجماعى ، وقصة الغرام بالتمتّع والرّئاسة ، والعلوّ فى الأرض .

تأثير التخمة والنهامة فى الأخلاق والأذواق :

وإذا تغلَّبت هذه الطبيعة الحيوانيّة ، وملكت زمام

www.abulhasanalinadwi.org

الحياة، واستحوذت على مشاعر الإنسان وحواسِّه ، وأصبحت « المعدة » هو القطب الذى تدور حوله الحياة ، شقّ على الإنسان كل ما يحول بينه وبين رغبته ، وما يشغله عن إرضاء نهمته ، وكل ما يذكِّره بمبدئه ومصيره ، وما يصوِّر له الحساب ، والاحتساب ، والجزاء والعقاب ، فلا يجد فى أعوام طوال وقتًا صافيًا ، وقلبًا فارغًا ،وعقلاً يقظًا ، وضميرًا حيًا ، فتثقل عليه العبادة والذكر وما يتّصل بهما ، ولا يجد لذتهما بطبيعة الحال ؛ ﴿ **وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ . الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ [البقرة : ٤٥ ، ٤٦] ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [النساء : ١٤٢].

إغاثة النبوّة للإنسانيَّة وتشريعها للصوم ، لتحقيق المثل العليا وغايات الحياة الإنسانية الحقيقية :

وجاءت النبوة فى أزمان مختلفة ، وأمكنة مختلفة ، تُغيث الإنسانية المهدّدة بالمادّية الطاغية ، وتُديل الرّوح والأخلاق ، والمشاعر اللطيفة ، والقلب المخنوق المفلوج

www.abulhasanalinadwi.org

من طغيان الشهوات ، وقسوة المعدات ، وتقيم الموازين القسط فى الحياة ، وتُعدّ الإنسانَ إعدادًا جديدًا لتحقيق الغاية التى خُلق لها ، وهى « العبادة » والوصول إلى الكمال المطلوب ، الذى هُيِّئ له ، وهى « الولاية » وإكمال المهمَّة لتى أُهبط لها فى الأرض وهى « الخلافة » .

وذلك لا يتحقَّق بروحانيَّة ملكيَّة ولا بماديَّة بهيميَّة . فأمرت بالصوم ليُحدّ من شرّة هذه الماديَّة المَعديَّة ، ويُعيد للنفس ما فقدته من حياة ونشاط ، ومن جدّة وقوَّة ، وليشحنها شحنًا روحانيًا إيمانيًا ، تستطيع أن تحفظ به اعتدالها فى الحياة ، وتُقاوم به مُغريات الشهوة ومفاسد التّخمة ، وتتخلَّق ببعض أخلاق الله ، وتنال منها نصيباً ، فتسعد به وتسمو ، وتلتحق بالملائكة والملأ الأعلى ، فترتع فى رياض الروح والقلب ، وتسرح فى ملكوت السموات والأرض ، وتعرف لذَّةً لا عهد لها بها فى ألوان الطعام والشراب ، وفى الشبع المُفرِط والتُّخمة المُملَّة .

مقاصد الصوم وأثره فى النفس والحياة :

وقد أشار إلى ذلك حجة الإسلام الغزالى فى أسلوبه

www.abulhasanalinadwi.org

الخاص ، فقال :

« المقصود من الصوم ، التخلُّق بخُلق من أخلاق الله عزَّ وجلَّ ، وهو الصمديَّة ، والاقتداء بالملائكة فى الكفِّ عن الشهوات بحسب الإمكان ، فإنَّهم منزَّهون عن الشهوات ، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه ، وكونه مبتلى بمجاهدتها ، فكلَّما انهمك فى الشهوات انحط إلى أسفل السافلين ، والتحق بغمار البهائم ، وكلَّما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى علِّيين والتحق بأفق الملائكة » (١) .

ويزيده العلاَّمة ابن القيِّم إيضاحًا وتفصيلاً فيقول :

« المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات ، وتعديل قوتها الشهوانيَّة ، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها ، وقبول ما تزكُو به مما فيه حياتها الأبديَّة ، ويكسر الجوع والظمأ من حدَّتها وسورتها ويذكِّرها بما للأكباد الجائعة من المساكين ، وتضييق

(١) إحياء علوم الدين ــ ج١ ــ ص٢١٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

مجارى الشيطان من العبد بتضييق مجارى الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرُّها فى معاشها ومعادها ، ويسكِّن كل عضو منها ، وكل قوة عن جماحه ، وتلجم بلجامه ، فهو لجام المتقين ، وجنَّة المحاربين ، ورياضة الأبرار والمقرَّبين»(١).

ويمضى ابن القيّم ببلاغته فى شرح أسرار الصوم ومقاصده ، فيقول :

« وللصوم تأثير عجيب فى حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة ، وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة ، التى إذا استولت عليها أفسدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة له من صحتها ، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدى الشهوات ، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة : ١٨٣] وقال

(١) زاد المعاد ــ ج١ ــ ص١٥٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

النبى ﷺ : « الصوم جُنّة » ، وأمر من اشتدّت عليه شهوة النكاح ــ ولا قدرة له عليه ــ بالصيام ، وجعلهُ وجاء هذه الشهوة .

والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة ، شرعه الله لعباده رحمة لهم ، وإحسانًا إليهم ، وحِمية وجُنَّة » (١) .

ويعود إلى الموضوع ، فيقول :

« لما كان صلاح القلب واستقامته عل طريق سيره إلى الله تعالى ، متوقفًا على جمعيته على الله ، ولمّ شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى ، فإن شعث القلب لا يلمّه إلاّ الإقبال على الله تعالى ، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام وفضول الكلام وفضول المنام ، ممّا يزيده شعثًا ، ويشتّته فى كل وادٍ يقطعه عن سيره إلى الله تعالى ، أو يضعه أو يعوقه ، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده ، أن شرع لهم من الصوم ، ما يذهب فضول الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له

(١) زاد المعاد ــ ج١ ــ ص١٥٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

عن سيره إلى الله تعالى ، وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد فى دنياه وأُخراه ، ولا يضرّه ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة » (١) .

الصوم فى الديانات القديمة :

لذلك اشتملت جميع الأديان والشرائع المعروفة فى التاريخ على الصوم ، وطالبت به جميع من كان يدين بها، فمن أقدم الديانات ، التى لا يزال عدد كبير من الناس يدين بها ، الديانة الهندية البرهميّة ، ويحدّث عنها الأستاذ T.M. P, Mahadevan رئيس قسم الفلسفة فى جامعة مدراس الهند، وهو يشرح الصوم ومكانته فى الشريعة الهندوكيّة ، والمجتمع الهندى :

« ومن الأعياد والأيام المحتفل بها فى السنة ، ماخُصِّصت للصوم الذى تُقصد به تزكية النفس . إنّ كل طائفة من الطوائف الهندكيّة تُخصص لنفسها أيامًا تقضيها فى الدعاء والعبادة ، ويصومها أكثر أفرادها كذلك ، فيكفّون عن الطعام ، ويسهرون الليل كلّه ، ويبيتون يتلون

(١) زاد المعاد ــ ج١ ــ ص١٦٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

الكتب المقدّسة ويراقبون الله . ومن أعمّ هذه الصيام ، وأكثرها انتشارًا فى الطوائف المختلفة ، « ويكنته إيكاوشى» الذى يُنسب إلى « وشنو » فلا يصوم ذلك اليوم أتباع وشنو فحسب بل يصومه أكثر الناس ، فيصومون نهاره ويسهرون ليله .

ومن الأيام ما يصومها النساء فقط ، ويدعون الآلهة «مظهر صفات الله النسويّة » فى مختلف مظاهرها ، وتسمّى هذه الأيام لأهميّتها الخاصة بـ « بَرَت » أو العهد ، وقد خصّصت لتزكية الروح ، وغايتها تغذية الروح بالغذاء الروحانى » [1] .

ولا يزال البراهمة يصومون فى اليوم الحادى عشر ، والثانى عشر من كل شهر هندى ، وهكذا يبلغ عدد الأيام التى تُصام عند البراهمة (٢٤) يومًا فى كل سنة ، إذا حافظوا عليها ، وتقيّدوا بها ، وقد فاقت الديانة الجينيّة فى الهند فى التشديد فى شرائط الصوم وأحكامه ، فأتباعها يواصلون أربعين يومًا بالصوم .

---

(1) Out Lines of Hinduism, Chapter 4, Section-6.

www.abulhasanalinadwi.org

ويظهر الصوم عند المصريين القدماء بجوار أعيادهم الدينية ، وكان صوم اليوم الثالث من شهر « تهسمو فيريا » اليونانى خاصًا بالنساء عند اليونان ، ولا تخلو الصحف المجوسيّة عن الأمر بالصوم والحثّ عليه ، ولو لطبقة خاصة ، وتدل آية وردت فى بعض كتبهم المقدسة على أن صوم خمسة أعوام كان فريضة على الرؤساء الدينيين »[١] .

الصوم عند اليهود :

أما اليهود فقد كان الصوم يُعتبر رمزاً للحداد والحزن عندهم فى العهد البابلى ، وكان يُلجأ إليه ، إذا هدّد خطر، أو إذا كان كاهن أو « مُلهَم » يُعدُّ نفسه لإلهام ، أو « نبوّة » ، وكان اليهود يصومون موقّتًا إذا اعتقدوا أن الله ساخط عليهم ، غير راضٍ عنهم ، أو إذا حلَّت بالبلاد نكبة عظيمة ، أو خطب كبير ، أو إذا أُصيبت البلاد بوباء فاتك ، أو بجدب عام ، وفى بعض الأحيان عندما يعزمُ الملوك على مشروع جديد .

---

(١) مقتبس من كتاب « سيرة النبى » للعلامة السيد سليمان الندوى رحمه الله تعالى (ج٥ ــ ص٢٨٦ ، ٢٨٧) ، وقد استفاد المؤلف فى ذلك من دائرة المعارف البريطانية (ج ١٠ ــ ص١٩٣) .

www.abulhasanalinadwi.org

أيام الصيام المحددة الدائمة ، قديمة ومحدودة فى التقويم اليهودى ، علاوة على يوم الكفارة ، يوم الصوم المقرر الوحيد فى الديانة الموسوية ، وكانت هنالك أيام معينة للصوم الدائم ، فى ذكرى حوادث أليمة ، وقعت لليهود فى أيام الأسر فى « بابل » ، وهى تقع فى الشهر الرابع « تموز » وفى الشهر الخامس « آب » ، وفى الشهر السابع « تشرى » وفى الشهر العاشر « تبت » (Tebet) ، ويرى بعض ربّيى « التلمود » أن صيام هذه الأيام إجبارى، عندما يعيش الشعب الإسرائيلى تحت قسوة الحكومات الأجنبية وفى اضطهاد ، ولا تلزم عندما يتمتع الإسرائيليون بأمن ورخاء .

وزيدت إلى أيام الصيام هذه أيام أخرى ، تصام تذكارًا لكوارث ومآسى نزلت باليهود ، وأُضيفت إلى الأولى على مرّ الأيام ، وهى لا تُعتبر إلزامية ، ولم تنل الحظوة الكافية عند الجمهور ، ومع اختلاف يسير يبلغ عددها إلى خمسة وعشرين يومًا .

وهنالك أيام صيام شعبية محلية ، تختلف باختلاف

www.abulhasanalinadwi.org

الأقاليم والمناطق التى يسكنها اليهود منذ زمن بعيد ، وهى تذكار كذلك لكوارث وخطوب ، أُصيبت بها هذه الشعوب فى أوقات مختلفة واضطهاد وقسوة تعرضوا لها فى بعض الحكومات وأيام صيام تصومها بعض الطبقات دون بعض فى ذكرى وقائع ومحن فى تاريخ اليهود ، وفى ذكرى مآتم وأفراح فى حياتهم الشخصية . وصوم أول يوم من السنة شائع فى كثير من الطبقات ، وهنالك أيام صيام تُشرّع، ويأمر به الربِّيُّون ، إذا تعرَّض الشعب لخطر ، أو تأخر المطر أو أُصيبت البلاد بمجاعة ، أو صدرت مراسيم قاسية، أو قوانين غليظة .

وأيام الصيام الشخصية المختارة ، التى يفضلها بعض الأفراد دون بعض ، شائعة فى تاريخ اليهود منذ زمن مبكر، وهى أيام صوم تذكارية لبعض الحوادث الفردية ، أو ككفَّارة عن بعض المعاصى والآثام ، أو لجلب رحمة الله وعفوه عند خطرٍ داهم ،أو بلاء نازل ، وصوم تلك الأيام لا يشجعها الربِّيُّون ، ولا يوافقون عليها إذا كان الصائم رجلاً علميًا ، أو أستاذًا معلِّمًا ، حتى لا يشوّش ذلك خاطره ، أو يضعف صحته ، وهنالك صوم يصام على إثر

www.abulhasanalinadwi.org

رؤيا مفزعة . ولما كانت الشريعة اليهودية لا تسمح بالصوم فى أيام الأعياد ، « فالتلمود» يبيح هذا الصوم فى هذه الأيام ، بشرط أن يكفَّر عنه بصوم آخر فى أيام عادية .

والصوم عند اليهود يبتدئ من الشروق ، وينتهى عند ظهور أول نجوم الليل ، إلا صوم يوم الكفارة [١] ، واليوم التاسع من شهر « آب» [٢] فإنه يستمر من المساء إلى المساء وليس هنالك أحكام وتقاليد للصيام العادية . وقد رُغِّب فى الصدقة وإطعام المساكين ، وخصوصًا توزيع العشاء المعتاد التقليدى .

إن الأيام التسعة الأولى من شهر « آب » ، وبعض أيام بين اليوم السابع عشر من شهر « تموز » وبين اليوم العاشر من شهر « آب » تعتبر أيام صوم جزئى فيُحرم فيها تناول اللحوم ، وتعاطى الخمور فقط [٣] .

---

(١) وهو اليوم العاشر من الشهر السابع (تشرى) (Tishri) « كما فى دائرة المعارف اليهودية » وفى كتاب « اليهودية فى الإسلام »:
Judaism in Islam by Abraham I. Katish (New York 1954).

(٢) وهذا الصوم شرع تذكارًا لإحراق الهيكل المرة الأولى أو الثانية .

(٣) مقتبس وملخص من « دائرة المعارف اليهودية » المجلد الخامس ، طبعة ١٩١٦م ، الولايات الأمريكية المتحدة (Jewish Encyclopeadia) .

www.abulhasanalinadwi.org

الصوم عند المسيحيين :

أما الصوم عند المسيحيين فيطول شرحه وتفصيله ، لأن الديانة المسيحية هى من أقل الديانات تشريعًا فقهيًا وأحكامًا كليَّة تشمل أدوار التاريخ والمجتمعات المسيحية والطوائف الدينية كلها وأكثرها تطورًا مع الزمن والعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية أحيانًا ، ولذلك يصعُب أن يُطلق عليها اسم شريعة إلهية ، وقد حاولنا أن نقدم صورة موجزة عن الصوم عند المسيحيين وما مرّ به من أدوار وأطوار .

المسيح صام أربعين يومًا قبل أن يبدأ رسالته ، ومن المرجَّح أنه كان يصوم يوم الكفارة ، الذى كان الصوم المفروض فى الشريعة الموسوية ، ككل يهودى مخلص ، إنه لم يشرع أحكامًا للصوم ، إنه خلَّف المبادئ وترك كنيسته تُقنِّن قوانين لتطبيقها ، وليس لأحد أن يزعم أنه أصدر قوانين عن الصوم رأسًا . إننا نقرأ فى المصادر المسيحية حديثًا عن صوم « بولس » والمسيحيين الأولين أن المسيحيين الذين كانوا من السلالة الإسرائيلية ظلوا يصومون

www.abulhasanalinadwi.org

يوم الكفارة . وينوه به الراهب ليوك Luke كيوم يُحتفل به، ولكن المسيحيين الذين ينتمون إلى أصول أخرى لم يُلحوا على ذلك .

وبانتهاء القرن المسيحى الأول ونصف قرن بعد وفاة القديس « بولس » نواجه رغبة ملحة فى تقنين القوانين للصوم ، وقد كان ذلك موكولاً إلى تقوى الصائم ، نرى الرهبان وبعض رجال الكنيسة يقترحون صيامًا ليقاوم به المسيحيون الإغراءات (المادية والجنسية) . وكان يسود فى ذلك العصر شعور بالواجب ، وتحذير عن أن يظل الصوم عملاً خارجيًا لا يؤثر فى نفس الصائم . ويتحدث القديس « ايرينيس » عن أنواع من الصيام ، منها ما يستغرق اليوم ، ومنها ما يستغرق يومين ، أو بضعة أيام ، ومنها ما كان يستغرق أربعين ساعة متوالية . وقد استمر هذا الوضع مدة طويلة ، وكان صوم « جمعة الآلام أو الصلبوت » صومًا شعبيًا عامًا ، وكان صوم يوم الأربعاء ويوم الجمعة فى كل أسبوع شائعًا فى بعض الأقطار فى القرن الثانى المسيحى، وكان الذين ينتظرون الاصطباغ (التعميد) ، يصومون يوما أو يومين ، وكان يشترك فيه الذين يأخذون الاصطباغ

www.abulhasanalinadwi.org

والذى يتولى ذلك .

وهنالك خلافات جزئية فى مناهج الصوم وأحكامه فى الطوائف المسيحية [١] ، وقد نال الصوم قسطا كبيرًا من التنظيم والتقنين فى فترة بين القرن الثانى والقرن الخامس المسيحيين ، فقد أصدرت الكنيسة قائمة أحكام وتوجيهات عن الموضوع ، وقد اتّسم الصوم بصلابة وشدة فى القرن الرابع ، فقد انتقل من طور الرقّة والتوسُّع والمرونة إلى طور الصَّلابة والغلظة والتدقيق ، وقد حُدد اليومان اللذان يسبقان « عيد الفصح » بالصوم فى هذا العصر ، وكان الصوم فى هذين اليومين ، ينتهى فى نصف الليل ، والمرضى الذين لا يستطيعون أن يصوموا فى هذين اليومين، كان يسمح لهم أن يصوموا يوم « السبت » ، وقد سُجِّلت فى تاريخ المسيحية والمسيحيين فى القرن الثالث أيام الصوم ، وكان هنالك اختلاف فى نهاية الصوم ، فكان بعضهم يُنهى ويُفطر عند صوت الديك ، وبعضهم إذا أرخى الليل سدوله .

---

(١) اقرأ التفصيل فى « دائرة معارف الأديان والأخلاق ».

www.abulhasanalinadwi.org

أما صوم أربعين يومًا ، فلا يُوجد له أثر إلى القرن الرابع الميلادى ، وكانت هنالك عادات وأوضاع للصوم يختلف باختلاف البلاد التى يسكنها المسيحيون ، فكان فى «روما» صيام يختلف عن الصيام فى «لانان» و«الاسكندرية» ، وكان بعضهم يُمسك عن تناول الحيوانات، خلافًا لغيره ، وبعضهم يجتزئ بالسمك والطيور ، وبعضهم يُضرب عن البيض والفواكه ، وبعضهم يجتزئ بالخبز اليابس ، وبعضهم يكُف عن كل ذلك ، وقد شُرعت أيام أُخرى للصوم فى القرون المتأخرة تذكارًا لحوادث وأيام تتَّصل بحياة المسيح وبتاريخ المسيحية يطول عدّها (١) ، منها ما كان يستغرق ثلاث ساعات وأربعًا، يُمسك فيها الصائم عن الأكل والشرب . وقد حُدّدت أيام مختلفة فى القرون الوسطى للصوم فى العالم المسيحى، تطوّرت مع تقدّم الزَّمن ، وهى تختلف باختلاف الأقاليم والبلاد ، التى تحكُم عليها الكنيسة المسيحيَّة .

وبعد الإصلاح حَدَّدت الكنيسة الإنجليزيَّة أيام الصوم ، ولم تُقنِّن قوانين وحدودًا للصائمين ، تاركة ذلك لضمير

(١) اقرأ التفصيل فى « دائرة معارف الأديان والأخلاق ».

www.abulhasanalinadwi.org

الفرد ، وشعوره بالمسئولية ، ولكن قوانين البرلمان الإنكليزى فى عهد « ايدورد السادس » و« جيمس الأول » و« مرسوم اليزيبت » فرض الإمساك عن اللحوم فى أيام الصوم ، وبرّر ذلك بقوله : « إن صيد السمك ، والتجارة البحريَّة ، يجب أن تُشجَّع وتَربح »(١) .

لذلك لمَّا شرع الله الصوم فى الإسلام ، وفرضه على المسلمين ، قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾

[البقرة : ١٨٣] .

جناية التخيير وعدم التحديد والحرية الزائدة فى الصوم على مقاصده وفوائده :

وقد تجردت بعض الأديان والشرائع القديمة عن تعيين أيام الصوم وتحديدها بالبداية والنهاية ، وضبطها بالأحكام، فكان الأمر بالخيار ، وكان الناس فى كثير من الأديان

---

(١) مقتبس من مقال « الصوم عند المسيحيين (Fasting , Christian) فى «دائرة معارف الأديان والأخلاق ».(Encyclopedia of Religions and Ethics)

www.abulhasanalinadwi.org

مخيَّرين فى اختيار الأيام التى يصومونها ، وفى تحديدها ، وكانوا مخيرين بين إمساك شامل عن المأكول والمشروب ، وبين تقليل من الطعام والشراب ، وكانوا مأمورين بترك بعض المطعومات ، واختيار بعضها ، كما جرى العمل به فى بعض الديانات الهندية ، فيمسك بعضهم عن أكل اللحوم، وبعضهم عمَّا طُبخ على النار ، ويجتزئ بعضهم بألوان من الطعام ، أو بالماء الممزوج بالملح (١) .

وقد جنى ذلك على الصوم قديمًا ، فضيَّعه وأضعف قوته ، فكان للإنسان أن يصوم متى شاء ، وما شاء ، وأن يجتزئ بطعام واحد أو بشراب ؛ وأن يقتصر على المقدار القليل ، والأمر موكول إلى الصائم ، فتطرّق الوهن ، وتسرَّبت الخيانة إلى النفوس ، وتخطَّى الناس الحدود ، وصعُبت المحاسبة ، فرُب مفطر إذا حُوسب تعلل بأنه قد صام فيما مضى ، ومن يدرى ذلك ؟ ورب متجاوز فى الأكل إذا وُجِّه إليه النقد اعتذر بأنه المقدار القليل الذى أُمر به فى الصوم ، وهكذا ضاع الصوم فى الأمم القديمة ،

(١) وهكذا كان يصوم زعيم الهند الكبير « غاندى » ويقلده بعض المضربين والمحتجين من زعماء الأحزاب ، ويسمى عندهم « برت » .

www.abulhasanalinadwi.org

وفقد تأثيره وفوائده الرُّوحية والخُلقية .

وإلى هذه الحكمة الدقيقة فى التحديد والتعيين ، أشار شيخ الإسلام ، أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى كتابه «حجة الله البالغة » فقال :

« وإذا وقع التصدِّى لتشريع عام ، وإصلاح جماهير الناس ، وطوائف العرب والعجم ، وجب أن لا يخيَّر فى ذلك الشهر ، ليختار كل واحد شهراً ليسهل عليه صومه ، لأن فى ذلك فتحًا لباب الاعتذار والتَّسلُّل ، وسدًا لباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإخمالاً لما هو من أعظم طاعات الإسلام » (١) .

ثم يقول وهو يذكر الحاجة إلى تعيين المقدار :

« ثم وجب تعيين مقداره لئلا يفرط أحد ، فيستعمل منه ما لا ينفعه وينجع فيه ، ويفرط مفرط ، فيستعمل منه ما يوهن أركانه ويذهب نشاطه ، وينفِّه (٢) نفسه ، ويزيره القبور ، وإنما الصوم ترياق يستعمل لدفع السموم النفسانية

(١) حجة الله البالغة ــ ج٢ ص٣٧ .

(٢) نفه وأنفه النافة : أعياها ، وأكلها .

www.abulhasanalinadwi.org

مع ما فيه نكاية بمطية اللطيفة الإنسانية ومنصَّتها ، فلابد من أن يتقدر بقدر الضرورة » [١].

تقليل الغذاء وتحديده ، أم إمساك مطلق ؟ :

ويقارن بين منهجين للصوم المعروفين عند الطوائف والأمم ، الأول: الإمساك عن الأكل والشرب ، وما ينافى الصوم بتاتًا فى مدة محدودة معلومة ، والثانى : تقليل الغذاء ، أو الاجتزاء بشيء واحد ، وترك بعض المرغوبات والمألوفات ، فيفضل الأول على الثانى، فى ضوء التجارب والتحليل العلمى ، وعلم النفس . يقول :

« ثم إن تقليل الأكل أو الشرب، له طريقان أحدهما: أن لا يتناول منهما إلا قدرًا يسيرًا ، والثانى : أن تكون المدة المتخللة بين الأكلات ، زائدة على قدر المعتاد ، والمعتبر فى الشرائع ، هو الثانى ، لأنه يخفِّف وينفِّه ، ويذيق بالفعل مذاق الجوع والعطش ، ويلحق البهيميَّة حيرة ودهشة ، ويأتى عليها إتيانًا محسوسًا ، والأول إنما يضعف ضعفًا يمر به ، ولا يجد بالاً حتى يُدنفه .

---

(١) حجة الله البالغة ــ ج٢ ص٣٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

وأيضًا ، فإن الأول لا يأتى تحت التشريع العام إلا بجهد ، فإن الناس على منازل مختلفة جدًا ، يأكل الواحد منهم رطلاً والآخر رطلين ، والذى يحصل به وفاء الأول هو إجحاف الثانى » (١).

ويذكر أنه لابد من الاعتدال فى هذا التوقيت والتحديد، فيقول :

« ثم يجب أن تكون تلك المدة المتخللة غير مجحفة ولا مستأصلة ، كثلاثة أيام بلياليها ، لأن ذلك خلاف موضوع الشرع ، ولا يعمل به جمهور المكلفين » (٢).

صيام مجموعة متتابعة ، أم متشتتة موزعة ؟ :

وكانت الأيام التى تصام فى كثير من الديانات القديمة ، وعند طوائف من الأمم ، أيامًا موزعة مبعثرة فى طول السنة ، تتخلل بينها فترات طويلة تفقدها التأثير فى الأخلاق والميول والعادات ، ولا تجعل النفس تنصبغ بها ، فكان من المصلحة والحكمة ، أن تتوالى هذه الأيام وأن

(١) حجة الله البالغة ــ ج٢ ص٣٧ .
(٢) نفس المصدر : ص٣١ .

www.abulhasanalinadwi.org

تتكرر ، يقول شيخ الإسلام الدهلوى رحمه الله :

« يجب أن يكون الإمساك فيها متكرِّرًا ليحصل التمرّن والانقياد ، وإلا فجوع واحد ، أىّ فائدة يفيد ، وإن قوى واشتدَّ » (١).

وقد جاء التشريع الإسلامى للصوم مستوفيًا لجميع هذه الشروط والصفات ، محققًا لجميع هذه الأغراض والنتائج الروحية والخلقيَّة والنفسية والاجتماعيّة ، وكان ذلك صيام رمضان الذى فرضه الله على المسلمين .

وتقدم صوم رمضان ، صوم يوم عاشوراء الذى كان اليهود يصومونه وكان كثير من العرب فى الحجاز يصومونه كذلك ، والموضوع يحتاج إلى شىء من الشرح والتفصيل.

صوم عاشوراء :

روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قدم النبى ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذا يوم صالح ! هذا يوم

(١) المصدر السابق : ص٣٧ .

www.abulhasanalinadwi.org

نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، قال : «فأنا أحق بموسى منكم » فصامه ، وأمر بصيامه [١]. وفى رواية مسلم : هذا يوم عظيم ، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى . وزاد البخارى فى الهجرة فى رواية أبى بشر : « ونحن نصومه تعظيمًا له » وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسُئلوا عن ذلك ، فقالوا : هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى وبنى إسرائيل على فرعون ، فنحن نصومه تعظيمًا له ، فقال النبى ﷺ : « نحن أولى بموسى منكم » فأمر بصومه [٢] . وروى الطبرانى فى المعجم : أنه عليه السلام لما دخل المدينة ، وجد اليهود صاموا عاشوراء، فسأل « أى يوم هذا ؟ » قالوا : عاشوراء ، خلص فيه موسى عليه السلام من فرعون ، فقال النبى ﷺ : « نحن أحق باتباع موسى عليه السلام » .

وقد استشكل ذلك العالم الرياضى الكبير أبو الريحان

(١) الجامع الصحيح للبخارى . كتاب الصوم « باب صيام يوم عاشوراء » .
(٢) صحيح مسلم : ج١ ــ كتاب الصوم ــ « باب صوم يوم عاشوراء » .

www.abulhasanalinadwi.org

البيرونى [١] (م٤٤٠هـ) ، وشك فى صحة الأحاديث الواردة فى ذلك اعتمادًا على الحساب ، ودراسة التقويم اليهودى ، وتطبيقه بالتقويم العربى ، قال فى كتابه : «الآثار الباقية عن القرون الخالية » :

« وقد قيل إن عاشوراء هو عبرانى [٢] ، معرب يعنى عاشور ، وهو العاشر من « تشرى » اليهود الذى صومه صوم الكِبُّور ، وأنه اعتبر فى شهور العرب ، فجعل فى اليوم العاشر من أول شهورهم ، كما هو فى اليوم العاشر من أول شهور اليهود ، وقد فرض صومه فى أول سنة الهجرة ، ثم نسخه صوم رمضان الآتى بعده . وروى أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ، رأى اليهود يصومون عاشوراء ، فسألهم عنه ، فأخبروه ، أنه اليوم الذى أغرق الله فيه فرعون وآله ونجَّى موسى ومن معه . فقال عليه السلام : « نحن أحق بموسى منهم » . فصام وأمر أصحابه بصومه.

---

(١) هو محمد بن أحمد الخوارزمى البيرونى العالم الرياضى الفلكى الفيلسوف ، قيل : إنه توفى سنة ٤٤٠هـ وقيل : ٤٥٠ ، وقيل غير ذلك .

(٢) أقول : قال ابن منظور فى لسان العرب « ج٦ ــ ص٢٤٥ » : وعاشوراء ، وعشوراء ممدودان ، اليوم العاشر من المحرم، وقيل التاسع ، قال الأزهرى: لم يسمع فى أمثلة الأسماء اسم على فاعولاء ، إلا أحرف قليلة .

www.abulhasanalinadwi.org

فلما فُرض صوم شهر رمضان ، لم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم .

وهذه رواية غير صحيحة ، لأن الامتحان يشهد عليها، وذلك لأن أول المحرم كان سنة الهجرة يوم الجمعة السادس عشر من تموز سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للإسكندر. فإذا حسبنا أول سنة اليهود فى تلك السنة كان يوم الأحد الثانى عشر من ايلول ، ويوافقه اليوم التاسع والعشرون من صفر، ويكون صوم عاشوراء يوم الثلثاء التاسع من شهر ربيع الأول ، وقد كانت هجرة النبى عليه السلام فى النصف الأول من ربيع الأول . . . فما ذكروه من اتفاقهما حينئذ محال على كل حال » .

وقال :

« وأما قولهم : إن الله أغرق فرعون فيه ، فقد نطقت التوراة بخلافه . وقد كان غرقه فى اليوم الحادى والعشرين من « نيسن » وهو اليوم السابع من أيام الفطير ، وكان أول فصح اليهود بعد قدوم النبى المدينة يوم الثلثاء الثانى والعشرين من « آذار » سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة

www.abulhasanalinadwi.org

للإسكندر ، ووافقه اليوم السابع عشر من شهر رمضان ، فإذًا ليس لما رووه وجه البتة » (١).

وكلام البيرونى ــ على غزارة علمه بالرياضيات وذكائه النادر ــ مؤسس على عدة افتراضات .

فمنها أنه فهم أن هذه المحاورة التى ذكرها ابن عباس وغيره ، كانت فى أول يوم قدم فيه النبى ﷺ المدينة ، لأن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لَمَّا قدم النبى ﷺ المدينة » أو (لما دخل المدينة) لذلك قال : قد كانت هجرة النبى عليه السلام فى النصف الأول من ربيع الأول ، وقد نشأ هذا الوهم لعدم ممارسته لصناعة الحديث ، وجهله لأساليب كلام الصحابة رضي الله عنهم ، وتعبيراتهم ، فهذا أُسلوب شائع فى أحاديثهم . فقد روى أبو داود عن أنس بن مالك، قال : قدم النبى ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : «ما هذان اليومان ؟» قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ : « قد أبدلكم الله بهما خيرًا منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر » فهل يفهم من ذلك أن قدومه

(١) « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ص٣٣١ .

www.abulhasanalinadwi.org

صادف يوم عيد وفرح عندهم ؟ وهل يمكن أن يصادف يومين يلعبون فيهما ؟ وقد ورد نفس هذا التعبير فى تأبير النخل وغير ذلك .

وقد نبَّه على ذلك العلامة ابن حجر العسقلانى ، قال :

« وقد استشكل ظاهر الخبر لاقتضائه أنه ﷺ حين قدومه المدينة ، وجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء ، وإنما قدم المدينة فى ربيع الأول ، والجواب عن ذلك ، أن المراد أن أول علمه بذلك ، وسؤاله عنه ، كان بعد أن قدم المدينة ، لا أنه قبل أن يقدمها ، علم ذلك ، وغايته أن فى الكلام حذفًا ، تقديره قدم النبى ﷺ المدينة ، فأقام إلى يوم عاشوراء ، فوجد اليهود فيه صيامًا » (١).

إذًا فلا إشكال ولا تناقض بين ما ورد فى الحديث ، وبين ما تحقَّق بالتقويم .

والافتراض الثانى ، أنه فرض أن صوم عاشوراء المذكور فى الحديث ، « هو العاشر من شهر تشرى اليهود ،

(١) فتح البارى : ج٤ : ص٢١٤ ـ ٢١٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

الذى صومه صوم الكبُّور » يعنى صوم يوم الكفارة المشهور عند اليهود . واليوم المحتفل به أكثر من كل يوم وصوم ، وهو المذكور فى كتبهم وشريعتهم بنفس الصيغة (Yom Kip-pur) ويقال فى الإنجليزية Day of Atonement[1] .

وهذا لا يصح ولا يتمشى مع لفظ الحديث ، ونصوص التوراة ، فإنه صوم كفارة عن ذنب كبير ، وجريمة قومية تاريخية [2] ويوم حزن وحداد ، وإيلام نفس، فقد جاء فى اللاويين ، أو سفر الأحبار ، عن صوم الكفارة ، الواقع فى عاشر الشهر السابع تشرى :

ويكون لكم فريضة دهرية أنكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر ، تذللون نفوسكم وكل عمل لا تعملون ،

---

(١) راجع « دائرة المعارف اليهودية » .

(٢) لا يبعد أن يكون صوم كفارة عن عبادة العجل التى تورط فيها اليهود على إثر ذهاب موسى إلى ربه الذى قال عنه القرآن : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ وعوقبوا على هذه العبادة بأن يقتل منهم الأبرياء المجرمين فقد جاء فى القرآن : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ إلخ . وقد خلف ذلك صوم فرض على أجيال اليهود إلى الأبد ، ويؤيده ما جاء فى كتاب «Judaism in Islam» : « قضى موسى أربعين يومًا على الجبل ، ونزل يوم الكفارة » .

www.abulhasanalinadwi.org

الوطنى والغريب النازل فى وسطكم ، لأنه فى هذا اليوم يكفّر عنكم لتطهيركم من جميع خطاياكم ، أمام الرب تطهرون (١) . وجاء فى موضع آخر :

« وكلّم الرب موسى قائلاً : أما العاشر من هذا الشهر السابع ، فهو يوم الكفّارة محفلاً مقدسًا يكون لكم ، تذللون نفوسكم ، وتقربون وقودًا للربّ ، عملاً ما لا تعملوا فى هذا اليوم عينه ، لأنه يوم كفارة للتكفير عنكم ، أمام الربّ إلهكم » (٢).

وجاء فى سفر العدد :

« وفى عاشر هذا الشهر السابع ، يكون لكم محفل مقدس ، وتذلّلون أنفسكم عملاً ما لا تعملوا » (٣) .

وبالعكس من ذلك ، فقد جاء فى الأحاديث الصحيحة ما يصرّح بأنّ يوم عاشوراء « الذى شُرع صومه للمسلمين »

---

(١) اللاويين ، الإصحاح السادس عشر (٢٩ : ٣١) الكتاب المقدس ، أى كتب العهد القديم والعهد الجديد ، « ترجمة مرسلى الجمعية الأمريكانية » «طبع نيويورك» .

(٢) اللاويين ، الإصحاح الثالث والعشرون (٢٦ : ٢٨).

(٣) سفر العدد ، الإصحاح التاسع والعشرون (٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

كان يوم فرح وعيد عند اليهود ، فقد روى البخارى عن أبى موسى الأشعرى ، قال : كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيدًا . قال النبى ﷺ : « فصوموه أنتم » (١) ولمسلم عن قيس بن مسلم بإسناده : قال : كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء ، يتخذونه عيدًا ، ويلبسون نساءهم فيه حليّهم وشارتهم (٢) . فقال رسول الله ﷺ : « فصوموه أنتم» (٣) . وقد روى كريب بن سعد عن عمر بن الخطاب ، قال : « إنّ الله تبارك وتعالى لايسألكم يوم القيامة ، إلاّ صيام رمضان ، وصيام يوم الزينة » يعنى يوم عاشوراء (٤) . إذًا فلا يصحّ أن يقال : أنه كان يوم الكفارة ، فقد كان هذا اليوم يوم حزن وعقوبة ، وذلّ ومَهانة ، وعاشوراء المذكور في الحديث يوم ترويح للنفس ، وفرح وسرور ، وزينة وتجمّل .

وقد وقع فى هذا الخطأ والوهم رجال فى الشرق

---

(١) كتاب الصوم « باب صيام يوم عاشوراء » جـ٤ .

(٢) قال العسقلانى : أى هيأتهم الحسنة .

(٣) كتاب الصوم .

(٤) أخرجه ابن مردويه ، راجع كنز العمال جـ٤ ــ ص٣٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

والغرب غير البيرونى ، واتّجه إلى ذلك بعض علماء الحديث فى هذا العصر ، وقد جاء فى كتاب « اليهودية فى الإسلام » « Judaism in Islam » فى ذكر يوم الكفارة :

«وقد قرّره محمد فى بداية الأمر كيوم صوم للمسلين»[1] .

ولا بد أن نجعل ما قاله اليهود عن عاشوراء ، «أنه يوم صالح ، يوم نجّى الله بنى إسرائيل من عدوهم » ميزانًا فى هذا البحث ، فلا بد أن ينطبق هذا الوصف على اليوم الذى نبحث فيه ، وقد جاءت تسمية هذا اليوم الذى نجّى الله فيه بنى إسرائيل من فرعون وآل فرعون « بأبيب» صراحة فى عدة مواضع من التوراة وهو الذى جرت تسميته «بنيسان» فيما بعد ، جاء فى دائرة المعارف للبستانى فى مادة « أبيب » Abib :

« كلمة عبرانية معناها أخضر ، وهى اسم الشهر الأول من السنة العبرانية ، ووضع اسمه موسى عليه السلام ، وهو يكاد يكون موافقًا لشهر « نيسان » (افريل) ، وبعد

(1) Judaism in Islam by Abraham I. Katish New York (1954).

www.abulhasanalinadwi.org

أن سبى الإسرائيليون إلى بابل ، غيّروا اسم هذا الشهر ، وسمّوه نيسان ، أى شهر الزهور ، وفى منتصفه كان عيد الفطير عندهم ،(خروج : ١٢ : ١٨) [١] .

وقد أقرّ بذلك البيرونى نفسه ، فقال فيما نقلنا عنه :

« وأما قولهم إن الله أغرق فرعون فيه ، فقد نطقت التوراة بخلافة ، وقد كان غرقه فى اليوم الحادى والعشرين من نيسن (نيسان) وهو اليوم السابع من أيام الفطير » وقد جاء فى التوراة (خروج ــ ١٢ : ١٨) : (فى الشهر الأول فى اليوم الرابع عشر من الشهر مساءً تأكلون فطيراً إلى اليوم الحادى والعشرين من الشهر مساءً) .

وبعد استعراض هذه النصوص ، ودراسة شريعة اليهود وتاريخهم وعاداتهم ، يُرجّح الباحث أن أشبه يوم بيوم عاشوراء ، الذى جاء ذكره فى حديث ابن عباس وغيره ، والذى شرع صومه فى الإسلام ، وكان عزيمة قبل رمضان ، هو يوم يقع فى منتصف شهر (أبيب) القديم ،

(١) يقول البستانى : أما أشهر الإسرائيليين الجارية ، فالشهر الأول من السنة هو شهر تشرى ، وهذا يجعل شهر أبيب عندهم الشهر السابع من السنة .

www.abulhasanalinadwi.org

أو شهر نيسان ــ كما اعتاد اليهود أن يسمّوه به بعد جلائهم إلى بابل ــ وهو عيد من أعيادهم التى يحتفلون بها ، ويظهرون فيها الفرح والسرور [١] ، وهو يوم وقع فيه خروج بنى إسرائيل من مصر وغرق فرعون ، وقد جاء فى (الإصحاح الرابع والثلاثين) :

(تحفظ عيد الفطير ، سبعة أيام تأكل فطيرًا أمرتك فى وقت شهر أبيب ، لأنك فى شهر أبيب خرجت من مصر) وجاء فى الإصحاح أيضًا (لأنه بيد قوية أُخرجك الرّب من مصر ، فتحفظ هذه الفريضة فى وقتها من سنة إلى سنة)[٢] ومن المرجّح أنه صادف اليوم العاشر من المحرم الشهر العربى الأول فى السنة الثانية من الهجرة ، ثم نسخه صوم رمضان فى نفس هذا العام .

وتطبيق الحساب القمرى ، والتقويم العربى بالحساب الشمسى ، والتقويم اليهودى تطبيق تخمينى تقديرى ،

---

(١) وقد يستشكل بعض الناس اجتماع الصوم والعيد فى يوم واحد ، وهذا ناشئ من قياس الصوم عند اليهود والنصارى على الصوم الإسلامى، وقد جاء فى دائرة المعارف اليهودية عن غرة الشهر السابع« إنه يوم صوم وعيد» .

(٢) الإصحاح ــ ١٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

بسبب النسىء الذى جرى عليه العرب قبل الإسلام ، وبعد الإسلام حتى أبطله الله بقوله : ﴿ **إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ الآية [التوبة :٣٧] ، وأعلن النبى ﷺ فى حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللهالسماوات والأرض » وكان ذلك بوحى من الله تعالى وإلهام . فقد كان التقويم العربى اضطرب اضطرابًا لا يهتدى فيه إلى الصواب ، ولا يرجع إلى الأصل القديم بمجرد الحساب ، فلا يصح أن يشك فى صحة الأحاديث الصحيحة المستفيضة اعتمادًا على حساب تخمينيّ مع اضطراب التقاويم ، وتعددها واختلافها فى الجاهلية وفى الإسلام .

ويمكن أن يكون يهود المدينة منفردين بصوم عاشوراء، قد التزموا صومه وتمسكوا به ، وجاروا فيه العرب الذين كانوا يصومونه إجلالاً لهذا اليوم الذى حدثت فيه الوقائع العظيمة ، وقد صح عن عائشة ، أنها قالت : (كانت قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية ، وكان رسول

www.abulhasanalinadwi.org

الله ﷺ يصومه) (الحديث) [١]. وقد كانت لليهود فى أنحاء الأرض ، وفى مختلف الأقاليم والعصور ، عادات فى الصيام وأيام مخصوصة يصومها بعض اليهود ، ولا يصومها الآخرون ، وقد تقدم ما جاء فى دائرة المعارف اليهودية فى الحديث عن الصيام اليهودية :

« وهنالك صيام شعبية محلية ، تختلف باختلاف الأقاليم والمناطق التى يسكنها اليهود منذ زمن بعيد » . ويقول كذلك : «وصيام تصومها بعض الطبقات دون بعض فى ذكرى وقائع ومحن فى تاريخ اليهود » ،فلا يستبعد أن صوم عاشوراء ، والتزامه فى اليوم العاشر من المحرم ، الشهر العربى الأول ، كان من خواص اليهود العرب ، لذلك نرى المصادر اليهودية ساكتة عنه ، وحمله أكثر الباحثين فيهم على صوم يوم الكفارة المشهور العام فى الديانة اليهودية ، الذى يصومه جميع طبقات اليهود فى جميع المناطق التى يسكنونها ، وسارع إلى القدح فى الأحاديث ، والشك فى صحتها ، من حمله على صوم

(١) صحيح مسلم : كتاب الصيام « باب صوم عاشوراء » .

www.abulhasanalinadwi.org

يوم الكفارة ، وما هو إلاَّ تسرّع فى الحكم ، نشأ من عدم إحاطة بعادات اليهود ، ومذاهبهم فى مختلف الأقاليم والعصور ، وقلة المصادر والمعلومات عن يهود الحجاز ، واليهود العرب ، الذين عاشوا فى جزيرة العرب، قرونًا وأحقابًا ، كأمة ذات شأن وكيان ، وأخلاق وعادات وعقائد ، تأثرت بالبيئة والمحيط ، شأن جميع الأمم والشعوب البشرية ، والحضارات والثقافات ، واللغات ، واللهجات ، وبالله التوفيق [1] .

فرض الصوم ، وما نزل فيه من آيات :

فللحكم السامية ، والمقاصد الأخروية والدنيوية ، التى قدَّمناها ، والتى لا يحيط بها علم العلماء ، وذكاء الأذكياء ، ولإعانة الروح التى تجنى عليها التخمة والحياة المترفة الرتيبة ، فتصبح هزيلة عليلة ، ولتمكين المسلم من أداء رسالته الخاصة ــ الخلافة ــ التى لا يقوى عليها إلا بالتوسط والاعتدال ، والصبر والاحتمال، فرض الله صوم رمضان.

ولم يفرضه إلا بعد أن هاجر الرسول ﷺ ،

(١) استندنا فى هذا البحث من مقال قيم للمرحوم الاستاذ أبى الجلال الندوى (مجلة معارف) الشهرية : عدد ٢ ــ مجلد ٦٠ (أغسطس ١٩٤٧م) .

www.abulhasanalinadwi.org

والمسلمون إلى المدينة ، وانقضت أيام العسرة والمحنة ، وتهيّأت لهم أسباب العيش ، حتى لا يقول قائل إن الصوم كان اضطراريًا ، ومن وحى البيئة والحالة الاقتصادية ، التى كان يعيش فيها المسلمون فى مكة ، وأنه من شأن الفقراء والمساكين ، أو المضطهدين المعذّبين ، وأن الأغنياء والموسرين، وأصحاب الأملاك والبساتين [١] فى غنىً عن الصوم .

ولم يفرضه إلاّ بعد أن رسخت العقيدة فى قلوب المسلمين ، وفعلَت فعلها ، وألفوا الصلاة وهاموا بها ، وتلقّوا الأوامر والأحكام الشرعيَّة بقبول واستعداد كأنهم كانوا منها على ميعاد ، وقد أحسن العلاّمة ابن القيِّم الإشارة إلى ذلك فقال :

ولما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشقّ الأمور وأصعبها ، تأخر فرضه إلى وسط الإسلام بعد

---

(١) كان الأنصار فى المدينة أصحاب أملاك وبسُاتين ، وذوى يسار ، وسعة فى الأموال ، وكذلك المهاجرون ، اشتغلوا بالتجارة ، فحسن حالهم واتسعت لكثير منهم الدنيا .

www.abulhasanalinadwi.org

الهجرة ، لما توطنت النفوس على التوحيد والصلاة ، وألفت أوامر القرآن ، فنقلت إليه بالتدريج .

وكان فرضه فى السنة الثانية من الهجرة ، فتوفى رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات (١) .

وأنزل الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ** (٢) **فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ**

---

(١) زاد المعاد ــ ص١٥٢ .

(٢) يعرف المستقرئ للغة العرب ومناهج كلامهم أن لهم تعبيرات مختلفة عن معنى القدرة على الشيء ، والإتيان بفعله ، تتصاعد وترتقى باعتبار التعسر ، أولها الاستطاعة ، وآخرها الإطاقة ، فلا تلجأ إلى هذا الأخير ، إلا إذا كان الفعل شاقًا مجهدًا يستنفد القوة ، ويستفرغ الجهد ، فلا يقول أحد إنى أطيق أن أرفع اللقمة إلى فمى ، أو هذا القلم إلى أذنى أو نحو ذلك مما لا عسر فيه ، بل يقول إنى أطيق أن أحمل هذا الحجر الثقيل ، أو أن أسرد الصيام ، أو أن أصلى الليلة كلها مثلاً ، وقد نوه بذلك مدونو اللغة العربية وصيارفة كلام العرب ، قال العلامة ابن منظور ، فى لسان العرب : «الطوق الطاقة ، أى أقصى غايته ، وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقة منه » وقال الزبيدى فى تاج العروس شرح القاموس:« الطوق : الوسع =

www.abulhasanalinadwi.org

مكتبة العلامة عبد الحي الحسني
دار عرفات رائے بریلی یوپی
۶۲۰
۱۲۹۵۰

خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ

= والطاقة . وأنشد الليث : كل امرئ مجاهد بطوقه ـ والثور يحمى أنفه بروقه، يقول كل امرئ مكلف ما أطاق » وقال العلامة راغب الأصفهانى فى مفردات غريب القرآن : « الطاقة اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطوق المحيط بشىء » فقوله : ﴿ **وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ﴾ أى ما يصعب علينا مزاولته، ، وليس معناه ﴿ **لَا تُحَمِّلْنَا** ﴾ ما لا قدرة لنا به ، وذلك لأنه تعالى ، قد يحمل الإنسان ما يصعب عليه ، كما قال : ﴿ **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ** ﴾ ﴿ **وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ** ﴾ أى خففنا عنك العبادات الصعبة ، التى فى تركها الوزر ، وعلى هذا الوجه ﴿ **قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ** ﴾ وقد يعبر بنفى الطاقة عن نفى القدرة فكان معنى الآية : ﴿ **الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ** ﴾ مع شدة وتعب ، ومشقة عظيمة ، وهما الشيخ الكبير ، والمرأة الكبيرة ، لا يطيقان الصيام إلا مع جهد وإرهاق ، وتعريض النفس للهلاك ، والمرض الشديد .

وعلى ذلك فهمه ابن عباس رضي الله عنه ، كما روى عنه البخارى وأبو داود وغيرهما ، وقال : إن الآية نزلت فى الشيخ الكبير الهرم والعجوز الكبيرة الهرمة ، وأخرج البخارى وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه ، أنه قرأ: ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ** ﴾ قال : يكلفونه ، وهو الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة ، يطعمون كل يوم مسكينًا ، ولا يقضون وله طرق كثيرة عنه ، وأخرج الدارقطنى عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين واحد ، فمن تطوع خيرًا ، قال : زاد مسكينًا آخر ، فهو خير ، قال : وليست بمنسوخة ، إلا أنه رخص للشيخ الكبير الذى لا يستطيع=

١٠٠٥
١٣٠٢

www.abulhasanalinadwi.org

فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ

= الصيام ، وأمر أن يطعم الذى يعلم أنه لا يطيقه ، (وإسناده صحيح ثابت) وروى للطحاوى عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ قال : الذين يتجشمونه ولا يطيقونه ، يعنى إلا بالجهد : الحبلى ، والكبير ، والمريض ، وصاحب العطاس ، وقد نقل ذلك عن على وأبى هريرة من كبار الصحابة رضي الله عنهم ، وعن مجاهد من كبار التابعين . وقد روى عن أنس، أنه كان يفعل ذلك بعد ما أسنّ وكبر ، (أخرج أثره البخارى) وروى خالد الحذاء عن عكرمة ، أنه كان يقرأ ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ قال: إنها ليست بمنسوخة ، وروى الحجاج ، عن أبى إسحاق عن الحارث عن على : ﴿ **وعلى الذين يطيقونه** ﴾ قال : الشيخ والشيخة ، وعن سعيد بن جبير ،أن ابن عباس رضي الله عنه ، كانت له جارية ترضع، فجهدت فقال لها : أفطرى، فإنك بمنزلة ﴿ **الذين يطيقونه** ﴾ .

فكان الذين توجه إليهم الخطاب فى قوله : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ على أقسام ثلاثة ، الأول : المقيم الصحيح ، فيتحتم عليه الصوم ، الثانى : المريض والمسافر ، فيباح لهما الإفطار ، مع وجوب القضاء ، الثالث: من يشق عليه الصوم بسبب لا يرجى زواله ، كالهرم ، والمرض المزمن ، فيفطران ويطعمان لكل يوم مسكينًا ، وكذلك الحامل والمرضع ، فتفطران وتقضيان ، وهكذا تبقى الآية محكمة لا نسخ فيها ، ولا تقدير لكلمة زائدة أو حذف ، أو تكلف شديد ، وقد ذهب إلى ذلك بعض كبار الصحابة من الراسخين فى العلم ، يخرج بذلك هذا القول عن الشذوذ والنكارة ، وتفسير القرآن بالرأى ؛ وقد أنصف العلامة الآلوسى ، إذ قال فى روح المعانى : والحق أن كلاً من القراءات يمكن حملها على ما يحتمل النسخ وعلى ما لا يحتمله ، ولكل ذهب بعض . . . (ج١ : ص٣٧٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة : ١٨٣ ــ ١٨٥] .

= أما قول بعض كبار الصحابة ﷺ بنسخ هذه الآية ، وقد ذهب إلى ذلك أكثر المتقدمين ، وكان هو المذهب المشهور فى كتب التفسير والحديث . فقد نشأ ذلك عن قياس تعبيرات الصحابة ومناهج كلامهم على المصطلحات الأصولية المحررة فى الأزمان المتأخرة ، وحملها عليها حملاً كليًا ، فقد كان الصحابة والمتقدمون يتوسعون فى إطلاق هذه الكلمات ، وقد يريدون بها معنى من معانيها اللغوية ، وينطقون بها بأدنى مناسبة أو وجه من الوجوه، ويحسن أن ننقل هنا كلام شيخ الإسلام الدهلوى فى هذا الموضوع، قال رحمه الله : «ومن المواضع الصعبة فى فن التفسير التى ساحتها واسعة جدًا ، والاختلاف فيها كثير ، معرفة الناسخ والمنسوخ ، وأقوى الوجوه الصعبة اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين .

وما علم فى هذا الباب من استقراء كلام الصحابة والتابعين ، أنهم كانوا يستعملون النسخ بإزاء المعنى اللغوى الذى هو إزالة شىء بشىء ، لا بإزاء مصطلح الأصوليين ، فمعنى النسخ عندهم إزالة بعض الأوصاف من الآية بآية أخرى ، إما بانتهاء مدة العمل ، أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر ، أو بيان كون قيد من القيود اتفاقيًا ، أو تخصيص عام ، أو بيان الفارق بين المنصوص ، وما قيس عليه ظاهرًا ، أو إزالة عادة الجاهلية أو الشريعة السابقة » فاتسع باب النسخ عندهم ، وكثر جولان العقل هنالك واتسعت دائرة الاختلاف » (الفوز الكبير فى أصول التفسير ص١٨) .

وقد آثر هذا القول ، واختاره بعض كبار العلماء فى عصرنا ، والمتضلعين من علوم الدين ، كالعلامة المحقق الشيخ أنور شاه الكشميرى ، والعلامة المحدث الشيخ شمس الحق الديانوى ، والأستاذ العلامة السيد سليمان الندوى رحمه الله ، عدا العلامة المفتى محمد عبده الذى اشتهر عنه هذا =

www.abulhasanalinadwi.org

ليست هذه الآيات التى تضمَّنت وجوب الصوم ، تشريعًا جافًا مجردًا ، كالقوانين والمراسيم العادية ، التى لا تعتمد إلاَّ على الرابطة السياسية أو الاجتماعية ، التى تقوم بين الفرد والحكومة ، إن هذه الآيات تخاطب الإيمان والعقيدة، والعقل والضمير ، والقلب والعاطفة فى وقت واحد ، وتُثير كل ذلك وتغذِّيه ، وهكذا تهيِّئ الجوّ لقبول هذا التشريع وإساغته بل للترحيب به ، واستقباله بنشاط وحماس ، إنها آية فى الإعجاز ، وفى فقه الدعوة ، وعلم النفس ، والتشريع الحكيم ، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] .

خاطب الله المكلَّفين بهذا التشريع بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، وهكذا هيَّأ المخاطبين لقبول كل ما يكلَّفون به ويُطلب منهم مهما كان شاقًا وعسيرًا ، لأن صفة الإيمان تقتضى ذلك وتوجبه ، فمن آمن بالله ، كإله وربّ ، وسيِّد ومُطاع ، وصاحب الأمر والنهى ، وخضع له بقلبه وقالبه، واستسلم له وأحبَّه من أعماق نفسه ، كان جديرًا بإجابة

= القول ، بعدما سجله تلميذه النجيب العلامة السيد رشيد رضا فى « تفسير المنار » .

www.abulhasanalinadwi.org

كل ما يصدر عنه من أمر ، وكل ما يوجه إليه من طلب : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور : ٥١] ﴿ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] ، والشريعة كلها ــ بما فيها من فرائض وعبادات وأحكام ــ حياة للنفوس .

ثم ذكر الله أنه كتب عليهم الصيام ، ولكنه لم يكتبه عليهم لأول مرة فى تاريخ الأديان ، وليس هو بدعًا فى التشريع ، فقد كتبه على من سبقهم من أهل الكتاب ، وأهل الشرائع والأديان ، وهكذا يخفف الله وطأة هذا التشريع على النفوس ، ويهوِّن خطبه عليها ، فالإنسان إذا عرف أنه لم يكلَّف بشىء جديد ، وإنما هو شىء سبق وتقدَّم ، وقامت به الطوائف والأمم ، هان عليه الأمر ، وتشجع عليه .

www.abulhasanalinadwi.org

ثم ذكر أنه ليس امتحانًا فقط ، ولا مشقَّة ليس من ورائها قصد ، بل هو رياضة وتربية ، وإصلاح وتزكية ، ومدرسة خلقية ، يتخرج فيها الإنسان فاضلاً كاملاً ، زمامه بيده ، يملك نفسه وشهواته ، ولا تملكه ، لقد استطاع الإضراب عن المباحات والطيِّبات ، فهو أقوى على ترك الممنوعات والمحرمات ، ومن يترك الماء الزلال الحلال ، والطعام الزكى الهنيء لأمر ربه ، كيف يقرب السُّحت الحرام ،والرجس النجس من المطاعم والمشارب والمعايش ؟ لذلك قال : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

ثم قال :لا تهولنّكم عدة الشهر ، ولا تثقلن عليكم ، فإنما هى ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ تصام تباعاً ، وتنقضى سراعًا، وما نسبة هذا الشهر ــ الذى لا يصام إلاّ نهاره ــ إلى العام الكامل ، الذى ينقضى فى لذّة مباحة ، ومتعة وراحة ؟

ثم إنه يستثنى من هذا التكليف المريض والمسافر ،ومن يعجز عن الصوم ، أو يخاف عليه منه .

ثم ذكر فضل الشهر الذى شرع صومه ، إنه شهر نزل

www.abulhasanalinadwi.org

فيه القرآن ، الذى كان بعثًا جديدًا للجيل الإنسانى ، ومبدأ حياة جديدة للنوع البشرى ، فخليق بالمسلم أن يستمد من هذا الشهر المبارك ، بصيامه وقيامه ، حياة جديدة وإيمانًا جديدًا ، وقوة جديدة .

هذا هو الصوم الإسلامى ، أو الشحن الروحانى ، الزاخر بالحياة والمنافع والبركات ، بعيد عن الإرهاق والإجهاد والمشقات ، التى لا تطيقها النفوس ، ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

خصائص التشريع الإسلامى فى الصوم وفضله وأحكامه :

وهكذا جاء التشريع الإسلامى للصوم أكمل تشريع وأوفاه بالمقصود ، وأضمنه بالفائدة ، وقد تجلّت فيه حكمة العزيز العليم الحكيم الخبير ، الذى خلق الإنسان ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك : ١٤] .

فخصّ شهرًا كاملاً ــ وهو شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن ــ بصيام أيام متتابعات متواليات ، يصام نهارها

www.abulhasanalinadwi.org

ويفطر ليلها ، وهو العُرف عند العرب فى الصوم وهو الميزان فى التشريع العالمى الإسلامى ، يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى :

« ويضبط اليوم بطلوع الفجر إلى غروب الشمس ، لأنه هو حساب العرب ومقدار يومهم ، والمشهور عندهم فى صوم عاشوراء ، والشهر برؤية الهلال إلى رؤية الهلال، لأنه هو شهر العرب ، وليس حسابهم على الشهور الشمسيَّة »[1] .

لماذا خُص رمضان بالصوم ؟

وجعل الله الصوم فى رمضان ، فجعل أحدهما مقرونًا بالآخر ، مرتبطًا به . فذلك قران السعدين ، والتقاء السعادتين فى حكمة التشريع ، وذلك لأن رمضان قد أُنزل فيه القرآن ، فكان مطلع الصبح الصادق فى ليل الإنسانية الغاسق ، فحسُن أن يُقرن هذا الشهر بالصوم ، كما يقترن طلوع الصبح الصادق بالصوم كل يوم ، وكان أحقّ شهور الله ــ بما خصَّه الله من يُمن وسعادة وبركة ورحمة ، وبما

(١) حجة الله البالغة ــ جـ٢ : ص٣٧ .

www.abulhasanalinadwi.org

بينه وبين القلوب الإنسانية السليمة من صلة خفيَّة روحيَّة — بأن يصام نهاره ، ويقام ليله [١] .

وبين الصوم والقرآن صلة متينة عميقة ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يُكثر من القرآن فى رمضان ، يقول ابن عباس رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة» [٢].

يقول العارف بالله ، العالم الرّبانى الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى (م ١٠٣٤هـ) فى بعض رسائله :

« إن لهذا الشهر مناسبة تامّة بالقرآن ، وبهذه المناسبة، كان نزوله فيه ، وكان هذا الشهر جامعًا لجميع الخيرات والبركات ، وكل خير وبركة تصل إلى الناس فى طول

---

(١) يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى : « إذا وجب تعين ذلك الشهر ، فلا أحق من شهر نزل فيه القرآن ، وارتسخت فيه الملة المصطفوية ، وهو مظنة ليلة القدر » (حجة الله البالغة ــ جـ٢ : ص٣٧) .

(٢) حديث متفق عليه .

www.abulhasanalinadwi.org

العام، قطرة من هذا البحر ، وإن جمعية هذا الشهر سبب لجمعية العام كله . وتشتّت البال فيه سبب للتشتت فى بقية الأيام، وفى طول العام ، فطوبى لمن مضى عليه هذا الشهر المبارك، ورضى عنه ، وويل لمن سخط عليه ، فمُنع من البركات، وحُرم من الخيرات » (١) .

ويقول فى رسالة أُخرى:

« إذا وُفّق الإنسان للخيرات ، والأعمال الصالحة فى هذا الشهر ، حالفه التوفيق فى طول السنة ، وإذا مضى هذا الشهر فى توزّع بال وتشتّت حال ، مضى العام كلّه فى تشتّت وتشويش » (٢) .

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال : « إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنّة ، وأُغلقت أبواب جهنم ، وسُلسلت الشياطين » والأحاديث فى الباب كثيرة .

---

(١) رسائل الإمام الربانى ، الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى ، جـ١ : ص٨ .

(٢) رسالة (٤٥) أيضًا .

www.abulhasanalinadwi.org

موسم عالمى ، ومهرجان عام للعبادات والخيرات :

وهكذا أصبح رمضان موسمًا عالميًا للعبادة والذكر والتلاوة والورع والزهادة ، يلتقى على صعيده المسلم الشرقى مع المسلم الغربى ، والجاهل مع العالم ، والفقير مع الغنى ، والمقصِّر مع المجاهد ، ففى كل بلد رمضان ، وفى كل قرية وبادية رمضان ، وفى كل قصر وكوخ رمضان ، فلا افتيات فى الرأى ، ولا فوضى فى اختيار أيام الصوم ، فكل ذى عينين ، يستشعر جلاله وجماله ، أينما حلّ ورحل فى العالم الإسلامى ، المترامى الأطراف ، تغشى سحابته النورانية المجتمع الإسلامى كله ، فيُحجم المُفطر المتهاون بالصوم عن الانشقاق عن جماعة المسلمين ، فلا يأكل إلا متواريًا أو خجلاً ، إلا إذا كان وقحًا مستهترًا من الملاحدة ، أو الماجنين ، أو كان من المرضى والمسافرين ، الذين أذن الله لهم فى الإفطار ، فهو صوم اجتماعى عالمى ، له جو خاص ، يسهل فيه الصوم ، وترقّ فيه القلوب ، وتخشع فيه النفوس ، وتميل فيه إلى أنواع العبادات والطاعات ، والبرّ والمواساة .

www.abulhasanalinadwi.org

الجو العالمى وما له من تأثير فى النفوس والمجتمع :

وقد لاحظ ذلك شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، بنظره الدقيق العميق ، فقال وهو يشرح حديث: « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة » إلخ :

« الصوم إذا جعل رسمًا مشهورًا ، نفع عن غوائل الرسوم ، وإذا التزمته أمة من الأمم ، سلسلت شياطينها ، وفتحت أبواب جنانها ، وغلّقت أبواب النيران عنها »[١].

ويقول فى موضع آخر :

« وأيضًا فإن اجتماع طوائف عظيمة من المسلمين على شىء واحد ، فى زمان واحد ، يرى بعضهم بعضًا معونة لهم على الفعل ، ميسّر عليهم ومشجّع إياهم » .

« وأيضًا فإن اجتماعهم هذا لنزول البركات الملكيّة على خاصتهم وعامتهم ، وأدنى أن ينعكس أنوار كملهم على من دونهم ، وتحيط دعوتهم من وراءهم » [٢] .

---

(١) حجة الله البالغة جـ١ : ص٥٩ .

(٢) حجة الله البالغة جـ٢ : ص٣٧ .

www.abulhasanalinadwi.org

الفضائل ومالها من تأثير وقوة :

إن الحياة فى صراع دائم بين الشهوات الحبيبة إلى النفس ، والمنافع المقرّرة عند العقل ، وليست الشهوات هى التى تنتصر دائمًا فى هذا المعركة ، كما يعتقد بعض الناس، فذلك سوء ظن بالطبيعة البشريّة ، وإنكار للواقع .

إن القوة التى تدير عجلة الحياة بسرعة ، وتفيض على هذا العالم الحياة والنشاط هى الإيمان بالنفع ، ذلك الإيمان هو الذى يوقظ الفلاَّح فى يوم شات ، شديد البرد ، فيحرم عليه الدّفء ، ويبكّر به إلى الحقل ، وفى يوم صائف شديد الحر يهوّن عليه وهج الشمس ولفح السموم، ويفصل بين التاجر وأهله ، ويتوجّه به إلى متجره ، ذلك الإيمان ، هو الذى يزين للجندى الموت فى ساحة القتال ، وفراق الأحبة والعيال ، فلا يعدل به راحة ولا ثروة ولا نعيمًا ، إن كل ذلك إيمان بالمنافع وحرص على الخير ، وهو القطب الذى تدور حوله الحياة .

وهنالك إيمان أعظم سلطانًا على النفوس ، وأعمق أثرًا من الإيمان الذى ضربنا له بعض الأمثال ، ذلك الإيمان

www.abulhasanalinadwi.org

بمنافع أخبر بها الأنبياء والرسل ، ونزل بها الوحى ، ونطقت بها الصحف ، وهى تنحصر فى رضا الله وثوابه ، وجزائه فى الدنيا والآخرة .

لقد علم الجميع أن الإمساك عن الطعام فى بعض الأيام مفيد للصحة ، وخير للمرء أن يصوم مرارًا فى كل عام ، وقد أسرف الناس فى الأكل والشرب ، واتَّخموا بأنواع من الطعام والشراب ، فأصيبوا بأمراض جسدية وخلقيّة ، كل ذلك معروف ومشاهد ، وآمن الناس بفوائد الصوم الطبية ، وآمنوا بأنه ضرورة صحية ، وآمنوا كذلك بفوائد الصوم الاقتصادية .

ولكن إذا سأل سائل ما عدد الصائمين فى هذه السنة لفوائد طبيّة ، ومصالح اقتصادية ؟ وما عدد الأيام التى صاموها طمعًا فى الاعتدال فى الصحة أو الاقتصاد فى المعيشة ؟ كان الجواب المقرر ، أنه عدد ضئيل جدًا ، ضئيل حتى فى الشتاء مع أن الصوم فيه سهل هيّن ، ورغم أن الصوم الطبى ، أو الاقتصادى أسهل بكثير من الصوم الشرعى .

www.abulhasanalinadwi.org

ثم ننظر فى عدد الصائمين الذين يصومون ، لأنهم يعتقدون أن الصوم فريضة دينية ، قد وعد الله عليه بثوابه ورضاه ، وتكفَّل بجزائه ، فنرى أن هذا العدد ــ مهما طغت المادية ، وضعف الدافع الدينى ــ عدد ضخم لا يقل عن ملايين ، وأن هؤلاء الملايين من النفوس لا يمنعهم الحر الشديد فى الأقاليم الحارة من أن يصوموا فى النهار ، ويقوموا فى الليل ، لأن الإيمان بالمنافع الدينية التى أخبر بها الأنبياء ، عند أهل الإيمان أقوى من الإيمان بالمنافع الطبية التى أخبر بها الأطباء، ومن الإيمان بالمنافع الاقتصادية التى لهج بها الاقتصاديون .

ذلك لأن المؤمنين سمعوا فى الصوم ، ما هوّن عليهم متاعب الصوم ، وشجعهم على احتمال الحرّ والجوع والعطش ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« كل عمل ابن آدم يُضاعف ، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى : إلا الصوم ، فإنه لى، وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى ، للصائم فرحتان فرحة عند فطوره وفرحة عند لقاء ربِّه ، ولخلوف

www.abulhasanalinadwi.org

فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » [١] وروى سهل ابن سعد عن النبى ﷺ قال :« فى الجنة باب يدعى الرَّيان، يدعى له الصائمون ، فمن كان من الصائمين دخله، ومن دخله لم يظمأ أبدًا » [٢] ، وعن أبى هريرة رضي الله عنه رفعه : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غفر له ما تقدم من ذنبه » [٢] .

العناية بروح الصوم وحقيقته ومقاصده والجمع بين «السلب» و«الإيجاب» :

إن صوم رمضان لهيئته الاجتماعية وشيوعه فى المجتمع الإسلامى ، عرضة لأن يتغلب عليه التقليد واتّباع العادة ، وأن لا يصومه كثير من الناس ، إلا مسايرة للمجتمع والبيئة ، وتفاديًا من الطعن والملام ، وأن يُشار إليهم بالبنان ، ولا يرافقه الإيمان والقصد ، والتفكير فى عظم شأنه وموقعه من الله ، وأجره وثوابه ، أو يصومه بعض الناس لغايات ماديّة ، أو مقاصد صحية واقتصادية ،

(١) رواه الستة .
(٢) للشيخين .
(٣) رواه البخارى .

www.abulhasanalinadwi.org

فكان من حكمة النبوة الباهرة ، وفقه الرسالة العميق ، أن اشترط النبى ﷺ للصوم المقبول عند الله الإيمان والاحتساب، فقال : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه » (١) . وقد يتساءل الرجل الذى لم يعرف دخائل النفس الإنسانية والأنماط البشرية المختلفة ، إن رمضان لا يصومه إلا المسلمون ، ولا يدعوهم إلى ذلك إلا الإيمان والاحتساب ، فلماذا قيّده لسان النبوة بصفة الإيمان والاحتساب ، فهو من قبيل تحصيل الحاصل ؟ ولكن الذى توسعت دراسته للحياة ، وتعمّقت معرفته الدوافع النفسية ، والعوامل الخلقية والاجتماعية ، وقف خاشعًا أمام هذه الحكمة ، والعلم الدقيق العميق ، وشهد بأنه ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٣ ، ٤] .

وقد جاء تفسير الإيمان والاحتساب فى حديث آخر ، بأن يكون الإنسان راجيًا للثواب ، مصدّقًا لما وعد الله على هذا العمل بالمغفرة والرضا ، فقد روى عبد الله بن عمرو

(١) حديث متفق عليه .

www.abulhasanalinadwi.org

ابن العاص رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أربعون خصلة ، أعلاها منيحة العنز ، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها ، وتصديق موعدها ، إلا أدخله الله بها الجنة » (١) .

ثم إن التشريع الإسلامى لم يكتف بصورة الصوم ، بل اعتنى بحقيقته وروحه كذلك ، فلم يحرِّم الأكل والشرب ، والصِّلات الجنسية فى الصوم فحسب ، بل حرّم كل ما ينافى مقاصد الصوم وغاياته ، وكل ما يضيّع حكمته وفوائده الروحية والخلقية ، فأحاط الصوم بسياج من التقوى والأدب وعفة اللسان والنفس ، فقال النبى ﷺ : «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، وإن سابّه أحد ، أو قاتله ، فليقل إنى صائم » (٢) وقال : «من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » (٣) وذكر أن الصوم الذى يخلو من روح التقوى والعفاف صورة مجردة من الحقيقة ، وجسم بلا

(١) رواه البخارى . (٢) متفق عليه .
(٣) للبخارى ، وأبى داود ، والترمذى .

www.abulhasanalinadwi.org

روح ، فقال : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر »[١] ، وعن أبى عبيدة رفعه ، قال : « الصوم جُنَّة مالم يخرقها»[٢] .

وليس الصوم الإسلامى مجموعة من أمور سلبية فقط، فلا أكل ولا شرب ، ولا غيبة ولا نميمة ، ولا رفث ولا فسوق ولا جدال، بل هو مجموع أمور إيجابية كذلك، فهو زمن العبادة والتلاوة والذكر والتسبيح ، والبرّ والمواساة، وقد قال النبى ﷺ : « من تقرَّب فيه بخصلة من الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه ، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة»[٣]. وعن زيد بن خالد الجهنى رضي الله عنه عن النبى ﷺ ، قال: «من فطَّر صائمًا كان له مثل أجره ، غير أنه لا يُنقص من

---

(١) رواه الدارمى فى سننه ، عن أبى هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه النسائى ، وزاد فى الأوسط« قيل بم يخرقها ؟ قال: بكذب أو غيبة» .

(٣) رواه البيهقى فى « شعب الإيمان » عن سلمان الفارسى رضي الله عنه (فى حديث طويل) .

www.abulhasanalinadwi.org

أجر الصائم شيء » [١] .

وألهم الله الأمة المحافظة على صلاة التراويح ، التى ثبت أصلها عن النبى ﷺ وقد تركها بعد ثلاث أيّام ، لئلا تفرض على أمته فرضًا فتشقّ عليها ، فقد روى ابن شهاب، قال : أخبرنى عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته : أن رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى فى المسجد ، وصلى رجالٌ بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلُّوا معه فأصبح النَّاس فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله ﷺ فصلى فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة ، عجز المسجد عن أهله ، حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على النَّاس ، فتشهَّد ، ثم قال : « أما بعد ، فإنه لم يخف علىّ مكانكم ، ولكنى خشيتُ أن تُفرض عليكم فتعجزوا عنها » فتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك [٢] .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه البخارى ، فى « باب فضل من قام رمضان » .

www.abulhasanalinadwi.org

وقد قام بها الصحابة رضي الله عنهم ، وعضَّت عليها الأمة بالنواجذ فى أعصارها وأمصارها ، حتى أصبحت شعارًا لأهل السنَّة ، والصالحين من الأمة ، وكان للتراويح فضل كبير فى شيوع حفظ القرآن فى الأمة [١] ، ومحافظتها عليه ، وبقائه فى الصدور ، وفضل كبير فى توفيق العامة والجماهير لقيام الليل والعبادة .

وبذلك كلِّه أصبح شهر رمضان (مهرجانًا) للعبادة ، وموسمًا للتلاوة ، وربيع الأبرار والمتقين ، وعيد العبَّاد والصالحين ، تتجلَّى فيه عناية هذه الأمة بإقامة أحكام دينها وغرامها بالعبادة [٢] ، وإخباتها إلى الله ، ورقة

---

(١) وقد أكرم الله بعض الأقطار الإسلامية البعيدة عن مهد الإسلام « كالهند وباكستان » بالعناية الزائدة بهذه الصلاة وختم القرآن فيها ، يهتم بها العامة والخاصة ، ويحرصون عليها كل الحرص ، فما من مسجد صغير خامل فى كل حى من الأحياء ، إلا وتقام فيه صلاة التراويح ،وتختم فيها على الأقل ختمة ، أما المساجد الكبيرة ، والأحياء الدينية ، فتختم فيها عدة ختمات ، ولا شك أن هذه السنة قد أفادت انتشار حفظ القرآن فى الشعب ، فكثر عدد الحفاظ كثرة تستدعى العجب ، وحملت على الاحتفاظ بحفظ القرآن ، ومدارسته طول السنة ، حتى كان حفاظ فحول ، برعوا وفاقوا فى حفظه وإتقانه .

(٢) إن مما توارثته الأجيال الإسلامية فى مختلف عصورها ، هو الإكثار من =

www.abulhasanalinadwi.org

القلوب، والتنافس فى البرِّ والمواساة فى أروع مظاهره ، لا تبلغه ، ولا تبلغ عشر معشاره أمة من الأمم ، أو طائفة من طوائف بنى آدم ، ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة : ٤] .

تفريط المسلمين فى مقاصد الصوم وجناية العادات على العبادات :

ولكن المسلمين قد جنوا فى كثير من الأحيان على أنفسهم ، وعلى مقاصد الصوم وفوائد بالعادات التى

= العبادة وأنواع البر ، والتقرب إلى الله فى رمضان ، والإكثار من التلاوة ، وتدارس القرآن وختمه ، والتنافس فيه والجهاد ، إلى حد لا يكاد يصدقه من لم يعرف قوة إرادة أهل الإيمان والصدق ، وما تصنع الروحانية القوية من عجائب وخوارق ، وعلى ذلك أدركنا العلماء الربانيين ، والدعاة المخلصين فى بلادنا ، وشاهدنا حالهم ، فإن بعضهم يختم كل يوم ختمة ، ولا تكتحل عينه بنوم فى الليل ، هذا مع تقليل زائد من الطعام ، فيغتنمون كل لحظة من اللحظات فى هذا الشهر المبارك ، وكل نفس من الأنفاس ، فلا ينفقونه إلا فيما يقربهم إلى الله ، ويزيد فى قيمة رمضان ، ووزنه فى الميزان، وإذا رآهم الإنسان عرف قيمة رمضان وكرامته ، وعرف قيمة الحياة، وصدق ما روى فى كتب التاريخ والتراجم عن عبادة السلف ، والمتقدمين وعلو همتهم وقوة إرادتهم .

www.abulhasanalinadwi.org

يبتدعونها ، وبجهلهم وإسرافهم فى الإفطار والطعام ، الإسراف الذى يُفقد الصوم الشيء الكثير من فائدته وقوته الإصلاحية والتربويَّة ، وقد لاحظ ذلك بدقة حجَّة الإسلام الغزالى وتحدَّث عنها ببلاغة ، يقول رحمه الله :

« الأدب الخامس » أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار ، بحيث يمتلئ جوفه ، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال ، وكيف يستفاد من الصوم ، قهر عدو الله ، وكسر الشهوة ، إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره ، وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام ، حتى استمرت العادات ، بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان ، فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل فى عدة أشهر ، ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء ، وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى ، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء ، حتى هاجت شهوتها ، وقويت رغبتها ، ثم أُطعمت من اللذات ، وأشبعت ، زادت لذتها ، وتضاعفت قوتها ، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة ، لو تركت على عادتها ، فروح الصوم وسرّه ، تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى العود

www.abulhasanalinadwi.org

إلى الشرور ، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل ،وهو أن يأكل أكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، فأمَّا إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلاً فلم ينتفع بصومه.

بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار ، حتى يحس بالجوع والعطش ، ويستشعر ضعف القوى ، فيصفو عند ذلك قلبه ، وليستديم كل ليلة قدرًا من الضعف ، حتى يخف عليه تهجده وأوراده ، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء » (١) .

الصيانة من التحريف والغلو :

كان رمضان مظنة للغلو ، والتعمق فى الدين ، فقد يفهم كثير من النَّاس أن موضوعه وغايته قهر النفس ، وترويضها على ترك الشهوات والرغبات ،وإجهادها إلى أقصى حد ممكن ، فكلما أمعن الإنسان فى إجهادها وقهرها وكلما طالت الفترة فى الأكل والشرب والتمتع ، وطالت مدة الجوع والظمأ ،وكلَّما أظهر الصبر والاحتمال، كان

(١) إحياء العلوم : ص٢١١ .

www.abulhasanalinadwi.org

أقرب إلى الله وأحب إليه ، وأبعد عن المترفهين المترفين والمتنعّمين المتمتّعين ، وأدخل فى غمار المتقين الصابرين .

وهذا الفهم الخاطئ السطحى ، هو الذى زيّن لكثير من المتدينين والمتقشفين فى الأمم السابقة ، والديانات القديمة ، الغلوّ فى العبادات عامة ، وفى الصوم خاصة ، فأطالوا مدة الإمساك عن الطعام والشراب ، وأخَّروا الفطور ، وعجَّلوا السُّحور ، أو تحرّجوا عن التسحُّر مطلقًا، ورأوه عجزًا فى الدين ، وضعفًا فى الصائمين ، أو وصلوا الصوم بالصوم ، والليل بالنهار ، وقلَّدهم فى ذلك غُلاة المسلمين ، والطوائف المبتدعة المتشددة ، فكان كل ذلك تحريفًا فى الدين ، وجهادًا فى غير جهاد ، ورهبانية ابتدعوها ، وبابًا واسعًا لفساد شامل، وتحديًا لقول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٨٧] وقوله ﷺ : « إن الدين يسر ، ولن يشادَّ هذا الدين أحد إلاَّ غلبه فسدِّدوا وقاربوا»(١).

(١) رواه البخارى « فى كتاب الإيمان » عن أبى هريرة رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

لذلك كله سدَّت الشريعة الإلهية الأخيرة الخالدة هذا الباب ، فحثَّت على السحور أولاً ، ورغب فيه رسول الله ﷺ ، واستحبه ، وجعله سنَّة للمسلمين ، فقد روى أنس ابن مالك عنه ﷺ : « تسحروا فإن فى السحور بركة » (١) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ، قال : « فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحر » (٢) وحذَّر عن تأخير الفطر ، وجعل التأخير فيه آية للفساد ، والوقوع فى الفتن ، وشعاراً لغلاة أهل الكتاب ، فعن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله ﷺ: « لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر » (٣) وعن أبى هريرة رضي الله عنه رفعه ، قال : « لا يزال الدين ظاهراً ما عجَّل الناس الفطر، لأن اليهود والنصارى يؤخرون»(٤) وكذلك كان من سنته وسنَّة أصحابه تأخير السحور . فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال : « تسحَّرنا مع رسول الله ﷺ ، ثم قمنا إلى

(١) للشيخين والترمذى والنسائى .
(٢) رواه مسلم .
(٣) للشيخين ، والموطأ ، والترمذى .
(٤) لأبى داود .

www.abulhasanalinadwi.org

الصلاة ، قيل : كم كان بينهما ؟ قال: خمسون آية » (١)
وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : كان لرسول الله ﷺ مؤذنان : بلال ، وابن أم مكتوم ، فقال رسول الله ﷺ : « إن بلالاً يؤذّن بليل فكلوا واشربوا ، حتى يؤذن ابن أم مكتوم، قال : ولم يكن بينهما ، إلا أن ينزل هذا ويرقى هذا » (٢) .

وقد بسط شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى الكلام فى هذا الموضوع فذكر عناية الشريعة الإسلامية ، والسنة النبوية ، بهذا الجانب الإصلاحى فى علم جم ، وفقه دقيق ، فقال :

« إن من المقاصد المهمة فى باب الصوم سد ذرائع التعمّق ، وردّ ما أحدثه فيه المتعمقون ، فإن هذه الطاعة كانت شائعة في اليهود والنصارى ومتحنّثى العرب ، ولما رأوا أنّ أصل الصوم هو قهر النفس تعمّقوا ، وابتدعوا أشياء فيها زيادة القهر ، وفى ذلك تحريف دين الله .

---

(١) متفق عليه .
(٢) حديث متفق عليه .

www.abulhasanalinadwi.org

وهو إما بزيادة الكمّ أو الكيف ، فمن الكمّ ، قوله ﷺ : « لا يتقدّمنّ أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين ، إلا أن يكون رجل كان يصوم يومًا ، فليصم ذلك اليوم » ونهيه عن صوم يوم الفطر ويوم الشكّ ، وذلك لأنه ليس بين هذه وبين رمضان فصل ، فلعله إن أخذ ذلك المتعمِّقون سنّة ، فيدركه منهم الطبقة الأخرى ، وهلّم جرًا ، يكون تحريفًا ، وأصل التعمّق أن يؤخذ موضع الاحتياط لازمًا ، ومنه يوم الشك .

ومن الكيف : النهى عن الوصال ، والترغيب فى السحور ، والأمر بتأخيره وتقديم الفطر ، فكل ذلك تشدّد وتعمّق من صنع الجاهلية »[1] .

والصوم كله خضوع للأمر الإلهى ، فلا أكل ولا شرب ، ولا متعة بما حظر على الصائم بعد تبيُّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر إلى غروب الشمس ، مهما جمحت النفس ، وطغت شهوة الطعام والشراب ، ولا إمساك عن الطعام والشراب وما حُظر فى النهار ، بعد

(١) حجة الله البالغة ــ ج٢ : ص٣٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

غروب الشمس ، مهما جمحت طبيعة الزهد والنسك ، فليس الحكم للنفس والشهوة والعادة ، إنما الحكم لله ، ولا تجلد مع الله ،ولا مصارعة مع الدين ، وكلّما كان الصائم متجرّدًا عن هواه ، منقادًا للحكم ، مستسلمًا لقضاء الله تعالى وشريعته ، كان أصدق فى العبوديّة ، وأبعد عن الأنانيّة ، وقد أحسن العارف الكبير ، والمصلح العظيم ، الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندى ، فى الإشارة إلى هذه النكتة ، إذ قال فى إحدى رسائله :

« يتجلّى فى تأخير التسحُّر ، وتعجيل الإفطار ، عجزُ الصائم وحاجته ، وهو ملائم للعبودية محقِّق لغرضها»[1].

الاعتكاف :

والاعتكاف فى رمضان متمِّم لفوائده ومقاصده ، متدارك لما فات الصائم ، من جمعية القلب ، وهدوء النفس ، واجتماع الهمّ ، والانقطاع إلى الله تعالى بالقلب والقالب ، وحقيقته الفرار إلى الله ، والاطراح على عتبة عبوديته ، والارتماء فى أحضان رحمته ، يقول العلامة ابن

(١) الرسالة الخامسة والأربعون « مجموع الرسائل » .

www.abulhasanalinadwi.org

القيم رحمه الله :

« شرع لهم الاعتكاف الذى مقصوده وروحه ، عكوف القلب على الله تعالى ، وجمعيته عليه ، والخلوة به ، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق ، والاشتغال به وحده سبحانه ، بحيث يصير ذكره وحبه ، والإقبال عليه فى محل هموم القلب وخطراته ، فيستولى عليه بدلها ، ويصير الهمّ به كله والخطرات كلها بذكره ، والفكرة فى تحصيل مراضيه ، وما يقرب منه ، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق ، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة فى القبور ، حين لا أنيس له ، ولا ما يفرح به سواه ، فهذا مقصود الاعتكاف فى أفضل أيام الصوم ، وهو العشر الأخير من رمضان » (١) .

ويقول شيخ الإسلام الدهلوى رحمة الله عليه :

« ولما كان الاعتكاف فى المسجد سببًا لجمع الخاطر ، وصفاء القلب ، والتفرّغ للطاعة ، والتشبّه بالملائكة ، والتعرض لوجدان ليلة القدر ، اختاره النبى ﷺ فى العشر الأواخر ، وسنّه للمحسنين من أمته » (٢) .

---

(١) زاد المعاد : ص١٦٨ .

(٢) حجة الله البالغة ــ ج٢ : ص٤٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

لذلك داوم عليه ﷺ ، وحافظ عليه المسلمون فى كل جيل ، وفى كل عصر ومصر [١] وأصبح من السّنن المأثورة ومن شعائر رمضان ، فعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبى ﷺ ، كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ، ثم اعتكف أزواجه، من بعده» [٢]. وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال : «كان النبى ﷺ يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين يومًا » [٣] .

ليلة القدر :

ونوّه القرآن والسنَّة ــ فى قوة وتكرار ــ بفضل ليلة القدر ، فقال الله تعالى : ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [سورة القدر] وقال النبى ﷺ : « من قام

(١) الاعتكاف فى أكثر المذاهب سنة ، وليس بواجب إجماعًا . وعند الحنفية سنة مؤكدة فى العشر الأخير من رمضان ، سنة كفاية كما فى البرهان وغيره .
(٢) حديث متفق عليه . (٣) رواه البخارى .

www.abulhasanalinadwi.org

ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا ، غُفر له ما تقدم من ذنبه » (١) .

وكان من حكمة الله تعالى ، ورحمته بعباده أن جعلها غامضة مُبهمة فى العشر الأواخر من رمضان ، ليتحرّاها المسلمون ، وتعلو همتهم ، ويشتدّ طلبهم ، ويُحْيوا الليالى الأخيرة كلّها بقيام وعبادة ودعاء ، كما كان شأن النبى ﷺ، فقد روت عنه عائشة رضي الله عنها ، قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، أحيا الليل كله وأيقظ أهله ، وجدّ وشدَّ المئزر » (٢) وعنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد فى رمضان ما لا يجتهد فى غيره، وفى العشر الأواخر منه ما لا يجتهد فى غيره» (٣).

وقد تضافرت الأحاديث والأخبار ، على أنها فى العشر الأواخر ، والسبع الأواخر من رمضان ، وأنها فى الوتر من الليالى ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رجالاً من أصحاب النبى ﷺ أُرُوا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر ، فقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد

(١) حديث متفق عليه .
(٢) حديث متفق عليه .
(٣) رواه مسلم .

www.abulhasanalinadwi.org

تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان متحرِّيها فليتحرها فى السبع الأواخر » (١). وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله ﷺ يجاور فى العشر الأواخر من رمضان ، ويقول : « تحرّوا ليلة القدر فى العشر الأواخر فى رمضان» (٢) وعنها رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : «تحرّوا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان»(٣) .

وقد بحث فى ليلة القدر شيخ الإسلام الدهلوى فى كتابه « حجة الله البالغة » بحثًا ممزوجًا بعلمٍ بالكتاب والسنة، وبوجدان وتجربة ، فقال :

« واعلم أن ليلة القدر ليلتان ، **إحدهما** : ليلة فيها يُفرق كل أمر حكيم ،وفيها نزل القرآن جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك نجمًا نجمًا ، وهى ليلة فى السّنة ، ولا يجب أن تكون فى رمضان ، نعم ، رمضان مظنة غالبة لها ، واتفق أنها كانت فى رمضان عند نزول القرآن .

والثانية : يكون فيها نوع من انتشار الروحانية ،

---

(١) حديث متفق عليه .
(٢) حديث متفق عليه .
(٣) رواه البخارى .

www.abulhasanalinadwi.org

ومجيء الملائكة إلى الأرض ، فيتفق المسلمون فيها على الطاعات ، فتتعاكس أنوارهم فيما بينهم ، ويتقرّب منهم الملائكة ، ويتباعد منهم الشياطين ، ويستجاب منهم أدعيتهم وطاعاتهم ، وهى ليلة فى كل رمضان فى أوتار العشر الأواخر تتقدم وتتأخر فيها ، ولا تخرج منها ، فمن قصد الأولى ، قال : هى فى كل السنّة ، ومن قصد الثانية، قال : هى فى العشر الأواخر من رمضان . وقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان متحرّيها فليتحرّها فى السبع الأواخر». وقال : «أريت هذه الليلة ، ثم أنسيتها ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين فكان ذلك فى ليلة إحدى وعشرين ، واختلاف الصحابة (رضوان الله عليهم) فيها مبنى على اختلافهم فى وجدانها » (١) .

دور الإسلام الإصلاحى فى تشريع الصوم :

قام الإسلام بنفس الدور الإصلاحى ، الذى قام به فى جميع العبادات والفرائض والمناسك ، وكان إصلاحًا

(١) حجة الله البالغة ــ ج٢ : ص٤١ ، ٤٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

جذريًا ، فى مفهوم الصوم وآدابه وأحكامه ووضعه ، جعله أعظم يسرًا وسهولة ، وقربًا إلى الفطرة السليمة ، وأضمن بالفوائد الروحية والاجتماعية ، وأعمق تأثيرًا فى النفس والمجتمع .

فمن إصلاحاته الكثيرة المتنوعة ، هو التحويل فى مفهوم الصوم ، فقد كان رمزًا للحداد والحزن ، وتذكارًا للكوارث والمآسى ، فى الديانة اليهودية ، كما أسلفنا ، فحوّله الإسلام من هذا المفهوم القاتم ، الذى يغلب عليه التشاؤم ، إلى مفهوم منشّط مُشرِق تغلب عليه روح التفاؤل ، وجعله عبادة عامة ، يتمتع فيها الصائم بالنشاط والفرح ، ويستبشر بما وعده الله تعالى ، وثوابه الجزيل ، ورضاه ، ووردت الآيات والأحاديث المبشِّرة بالثواب ، المتضمنة بالفرح الطبعى ، تُثير فى الصائم هذا الشعور وهذه الثقة ، فقد جاء فى حديث قدسى : « إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » (١) وورد فى هذا الحديث : «للصائم فرحتان : فرحة عند فطوره ، وفرحة عند لقاء

(١) رواه الستة .

www.abulhasanalinadwi.org

ربه » [١] . وقد أحاط الصائم بجوٍّ من السُّمُوِّ والحظوة، والمكانة عند الله تعالى ، فقال : « لخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك » [٢] وذلك جوٌّ يخالف جوَّ الحداد والمآتم والحزن والتشاؤم .

وقد كان الصوم عند اليهود مرادفًا لتذليل النفس والعقوبة ، وقد شاع هذا التعبير فى أسفارهم وصحفهم ، فقد جاء فى اللاويين أو سفر الأحبار :

« ويكون لكم فريضة دهريَّة أنكم فى الشهر السابع فى عاشر الشهر ، تذلِّلون نفوسكم وكل عمل لا تعملون ، الوطنىُّ والغريب النازل فى وسطكم ، لأنه فى هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم من جميع خطاياكم ، أمام الربّ تطهرون » [٣] . وجاء فى موضع آخر :

---

(١) رواه الستة عن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ . (٢) أيضًا .

(٣) اللاويين ــ الإصحاح السادس عشر (٢٩ ــ ٣١) الكتاب المقدس ، أى كتب العهد القديم ، والعهد الجديد « ترجمة مرسلى الجمعية الأمريكانية» «طبع نيويورك » .

www.abulhasanalinadwi.org

« وكلَّم الربُّ موسى قائلاً : أما العاشر من هذا الشهر السابع ، فهو يوم الكفارة ، محفلاً مقدسًا ، يكون لكم ، تذللون نفوسكم وتقرِّبون وقودًا للرب ، عملاً ما لا تعملوا فى هذا اليوم عينه . لأنه يوم كفَّارة للتكفير عنكم أمام الرب إلهكم » (١) .

وجاء فى سفر العدد :

« وفى عاشر هذا الشهر السابع ، يكون لكم محفل مقدَّس ، وتذلِّلون أنفسكم ، عملاً ما لا تعملوا » (٢) .

أمَّا الشريعة الإسلامية ، فلم تعتبر الصوم إيلامًا للنفس ، ولا عقوبة من الله ، ولم ترد فى القرآن ولا فى السنَّة كلمة تدل على ذلك ، بل اعتبرته عبادة ، يتقرب بها العبد إلى الله ، ولم تشرِّع من الأحكام الغليظة المجحفة ، ومن القيود القاسية العنيفة ، ما تجعله مرادفًا لتعذيب النفس وإرهاقها ، وحملها على ما لا طاقة لها به ، بل سنَّت التسحّر ، واستحبَّت تأخيره : إلى أن يتبيَّن الخيط

(١) اللاويين ــ الإصحاح الثالث والعشرون (٢٦ ــ ٢٨) .
(٢) سفر العدد ــ الإصحاح التاسع والعشرون (٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وسنَّت تعجيل الفطور ، وأباحت النوم والراحة فى الليل والنهار ، والاشتغال بالصناعة والتجارة ، والأعمال المفيدة المباحة ، خلافًا لليهودية ، التى فرضت الإضراب عن العمل ، والانقطاع إلى العبادة .

وكان الصوم فى كثير من الديانات القديمة ــ ولا يزال ــ مختصًا بطبقة دون طبقة ، فكان فى الديانة البرهمية ، فريضة على البراهمة فى أكثر الأحيان ، وعند المجوس على العلماء والكهنوت (دستور) ، وعند اليونان بالإناث دون الذكور .

أما الإسلام ، فقد عمَّم وأطلق . فنزل : ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ [البقرة : ١٨٥] وبجانب هذا التخصيص ، الذى عُرفت به الديانات القديمة ، لم تستثنِ المعذورين ، أما الإسلام فقد استثنى أصحاب العذر ، وقال الله تعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ [البقرة : ١٨٤] وقال : ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ**

www.abulhasanalinadwi.org

﴿ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة : ١٨٤] .

وقد كان فى بعض الديانات جوع أربعين يومًا ، لا يتناول فيها الصائم غذاء ، وبالعكس من ذلك توسَّعت بعض الديانات توسعًا زائدًا ، فاقتصرت على تحريم تناول اللحوم ، وأباحت الفواكه والمشروبات ، أما الإسلام ، فقد جاء تشريعه وسطًا بين الشدة والرقة ، وبين الإرهاق والإطلاق ، فجاء صومه صومًا متزنًا عادلاً ، ليس فيه تعذيب أبدان ، ولا إزهاق أرواح ، وليس فيه كذلك إرخاء عنان ، ولا تسريح فى روح وريحان .

وكان اليهود يقتصرون على ما يأكلونه عند الفطر ، ثم لا يعودون إلى أكل أو تمتع . أما العرب فكانوا لا يأكلون ولا يتمتعون بالمباحات إذا ناموا . أما الإسلام فقد ألغى هذه القيود كلها ، ونزل القرآن : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] وكذلك عُفِى عن الخطأ والنسيان (١) ،

(١) عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أكل وشرب ناسيًا فلا يفطر ، فإنما هو رزق رزقه الله » (رواه الترمذى) ورواه الشيخان ولفظهما : « من نسى وهو صائم فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه » .

www.abulhasanalinadwi.org

وكذلك لا يُفسد الصوم أفعال اضطرارية : كالقيء والرّعاف، والاحتلام [١] خلافًا لبعض الديانات .

وكان الصوم فى أكثر الديانات القديمة مضبوطًا بالشهور الشمسية، وكان ذلك يحتاج إلى العلوم الرياضية والفلكية، وإلى وضع التقاويم ، ثم كانت تلك الأيام مستقرة دائمة فى فصول خاصة ، لا تدور ولا تنتقل .

أما الصوم الإسلامى فهو مضبوط بالشهور القمرية ، ومربوط بالهلال [٢] فقد جاء فى القرآن : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ [البقرة : ١٨٩] وقال النبى ﷺ : « لا تصوموا قبل رمضان ، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن حالت دونه غيابة ، فأكملوا ثلاثين

---

(١) عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا يفطرن الصائم : الحجامة ، والقيء ، والاحتلام » (رواه الترمذى) .

(٢) والمعتبر فى الشريعة الإسلامية ، شهود الهلال ، لا وجوده . فلا يحتاج إلى تكلفات رياضية وصناعية يهتدى بها إلى وجوده . كما يلجأ إلى ذلك بعض البلاد والحكومات الإسلامية . وعلى ذلك يدل الحديث الصحيح «صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » وفى المسألة بحث علمى طويل .

www.abulhasanalinadwi.org

يومًا » [١] . وجاء فى حديث آخر : « لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه ، فإن غمَّ عليكم فاقدروا له » [٢] فاستطاع المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، وفى البوادى وقلل الجبال وفى الدور الممعن فى البداوة والأمية ، وفى أمكنة منقطعة موغلة فى الغابات والآجام ، أن يبدؤوا الصوم ويختموه من غير مشقة وتكلّف ، وبحث علمى عميق ، وكانت فائدته كذلك ، أن رمضان يدور فى فصول مختلفة ، من شتاء وصيف ، فلا يكلف المسلمون بالصوم فى حر لافح ، وفى قيظ شديد ، ولا فى برد قارس وشتاء كالح ، دائمًا وفى كل سنة ، فيتمتعون بتغيُّر الفصول واختلاف الطقوس ، ويتعوّدون كل ذلك ، وهم فى كل ذلك صابرون محتسبون، أو شاكرون حامدون [٣] .

ومن عرف أوضاع الصوم ومناهجه ، فى الأمم القديمة

---

(١) رواه الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنه .

(٢) رواه الستة إلا الترمذى .

(٣) استندنا فى هذا الفصل من كتاب سيرة النبى ﷺ ، للأستاذ العلامة السيد سليمان الندوى رحمه الله (المجلد الخامس) .

www.abulhasanalinadwi.org

والديانات المعاصرة ، ودرس تاريخها وفلسفتها ، وشاهد أحوال الصائمين فيها ـ على قلتهم وتشتّت أحوالهم ـ وقارن ذلك بالصوم الإسلامى ، ووضعه ومنهجه ، وفقهه وآدابه ، وأكرمه الله بالدخول فى هذه الأمة المسلمة ، والعمل بالشريعة الإسلامية السمحة ، نطق لسانه بالحمد والثناء ، والشكر على نعمة الإسلام ، وكان حقيقًا بأن يقول وهو صائم :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مخلوق وسط ، بين الملائكة والحيوانات	٥
مقتضى « الخلافة » ولوازمها	٦
تجاذب الروح والجسد ، إلى مركزهما وخصائصهما	٧
أثر انتصار كل من الروح والجسد ، فى حياة الإنسان ، وفى تاريخ الأديان والأخلاق	١٠
تأثير التخمة والنهامة ، فى الأخلاق والأذواق	١٢
إغاثة النبوّة للإنسانية ، وتشريعها للصوم ، لتحقيق المثل العليا، وغايات الحياة الإنسانية الحقيقية	١٣
مقاصد الصوم ، وأثره فى النفس والحياة	١٤
الصوم فى الديانات القديمة	١٨
الصوم عند اليهود	٢٠
الصوم عند المسيحيين	٢٤
جناية التخيير وعدم التحديد ، والحرية الزائدة فى الصوم	

www.abulhasanalinadwi.org

على مقاصده ، وفوائده ٢٨
تقليل الغذاء وتحديده ، أم إمساك مطلق؟ ٣١
صيام مجموعة متتابعة ، أم متشتتة موزعة ؟ ٣٢
صوم عاشوراء ٣٣
فرض الصوم ، وما نزل فيه من آيات ٤٧
خصائص التشريع الإسلامى فى الصوم وفضله وأحكامه ٥٦
لماذا خص رمضان بالصوم ٥٧
موسم عالمى ، ومهرجان عام للعبادات والخيرات ٦٠
الجو العالمى، وما له من تأثير فى النفوس والمجتمع ٦١
الفضائل ، وما لها من تأثير وقوة ٦٢
العناية بروح الصوم ، وحقيقته ومقاصده ، والجمع بين «السلب» و «الإيجاب» ٦٥
تفريط المسلمين في مقاصد الصوم ، وجناية العادات على العبادات ٧١
الصيانة من التحريف والغلو ٧٣

www.abulhasanalinadwi.org

الاعتكاف ٧٨
ليلة القدر ٨٠
دور الإسلام الإصلاحى فى تشريع الصوم ٨٣
الفهرس ٩٣

www.abulhasanalinadwi.org

رقم الإيداع ٩٧/١٣٠٢٧

الترقيم الدولى I.S.B.N 977-5826- 38- 1

www.abulhasanalinadwi.org